الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الإفريقية أحمد دراية – أدرار
كلية: العلوم الانسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم: العلوم الانسانية

الطُّرقُ الصُّوفِيّة ودورهَا الجِهَادِي في السودان الغربي خلال القرنين: "13-14هـ/19-20م" (القادرية والتيجانية أنموذجاً)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

من إعداد الطالبين:
عبد الحميد جلايلي
عبد الكريم قرماطي

إشراف الدكتور:
بعثمان عبد الرحمن

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
د/ عبّاس عبد الله	أ. محاضر " أ "	رئيساً
د/ بعثمان عبد الرحمن	أ. محاضر " أ "	مشرفاً ومقرراً
د/ ختير صافي	أ. محاضر "ب"	مناقشاً

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ/ 2019- 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

أُهدي هذا العمل إلى كل من ساعدنا

في تذليل الصعوبات

إلى روح والديَّ الكريمين تغمدهما الله بواسع رحمته

إلى إخواني وجميع أبنائهم

وإلى عائلتي الكبيرة كل باسمه

إلى أسرتي الصغيرة: زوجتي الغالية وفلذات كبدي

"فردوس، محمد، إسراء، عبد العليم"

حفظهم الله جميعاً.

عبد الحميد جلايلي

إهـــداء

أُهدي هذا العمل إلى كل من ساعدنا

في تذليل الصعوبات:

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما، إلى

إخوتي الأعزاء كل باسمه، إلى كل عائلة "قرماطي"

إلى زوجتي الغالية

إلى فلذات كبدي: "إلياس، عبد الباقي، حفصة "

عبد الكريم قرماطي

شكر و تقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله الكريم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

بادئا نشكر الله العلي القدير شكراً جزيلاً طيباً مباركاً فيه أن وفقنا وهدانا وأنار طريقنا وأعاننا على إتمام هذا العمل، فله الحمد والشكر والمنة.

وعِرفاناً بالمساعدات التي قُدمت لنا حتى يخرج هذا العمل إلى النور، نتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ المشرف الدكتور عبد الرحمن بعثمان الذي رافقنا طيلة المشروع منذ أن كان فكرة، فلهُ أخلص تحية وأعظم تقدير على كل ما أفادنا به من توجيهات ومعلومات ونصائح وإرشادات.

كما نتقدم بكل عبارات الثناء والتقدير للسادة الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة وكل أساتذة القسم الذين رافقونا وأطرونا وتعلمنا على أيديهم، فلهم منّا كل الشكر والامتنان.

ولا يفوتنا أن نشكر كل من قدّم لنا يد المساعدة ونخص بالذكر الإخوة الزمـلاء: عبد الوهاب علالي، رمضان هداجي، محمد الفاطمي، عبد الكريم قطيب..... وكـل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

إلى كل هؤلاء وإلى كل من جمعتنا بهم الجامعة نقول لهم:

المقدمة

إن المقلِّب لصفحات التاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا يُدرك الجهود الكبيرة التي بذلتها الطرق الصوفية عامة والطريقتين القادرية والتيجانية على وجه الخصوص، في سبيل مواصلة نشر رسالة الإسلام ومحاربة الوثنية والشرك والبدع، وترسيخ الثقافة والقيم الحضارية التي ساهمت في نقلها وازدهارها تلك الطرق، باعتبارها حركات إصلاحية شاملة شكلت جسراً من جسور التواصل بين حواضر ضفتي الصحراء الشمالية والجنوبية.

هذا الدور الذي تعزَّز أكثر بتزعم قادة هذه الطرق الصوفية للحركات الجهادية والتحررية في مواجهة القوى الاستعمارية الأوربية في مرحلة لاحقة خلال القرن20م، ومازالت شعوب غرب إفريقيا تدين بالولاء إلى زعماء هذه الحركات الصوفية الإصلاحية، لدورهم في النهوض بكافة مجالات الحياة، من خلال نشر الحضارة الإسلامية بما في ذلك الجوانب الثقافية والتعليمية، والتي تعتبر الروافد الأساسية التي انطلقت منها تلك الطرق الصوفية.

ولأن التصوف في السودان الغربي تميز بقوة تأثيره وتعدد طُرقه وتباين مواقفه وأساليبه في الدعوة والجهاد، فإننا سَنُتناول في بحثنا هذا إحدى أبرز تلك المهام النبيلة التي ارتبط وجودها بالطرق الصوفية في غرب إفريقيا؛ ألآ وهي مسألة "الجهاد الصوفي" تحت عنوان: الجهاد الصوفي في السودان الغربي خلال القرنين 19 و20 الميلاديين– القادرية والتجانية– أنموذجاً ".

إذ يُعد التصوف عامة والجهاد الصوفي على وجه الخصوص، من المواضيع التي لاقت اهتمام الكثير من الباحثين في حقل المعرفة التاريخية والحضارية، خاصة في إفريقيا جنوب الصحراء. حيث تنوعت الدراسات بين الأكاديمية والعامة، فمن المذكرات والرسائل الجامعية التي اعتمدنا عليها؛ دراسة الباحث الموريتاني "علي بدوي علي سالمان" بعنوان: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)، وهي رسالة ماجستير أفادتنا في استخلاص ردود أفعال رجال الطريقة القادرية من الاستعمار الفرنسي في بلاد شنقيط، وحسب هذه الدراسة فإنّ هذه الردود لم تكن على قلب رجل واحد، بل كانت متناقضة، فهناك طرف أيّد وهادن الفرنسيين، وطرف لم يتقبل فكرة وجودهم على أرض تدين بالإسلام، إلا أن هذه الدراسة اقتصرت على الطريقة القادرية في مجال جغرافي محدد "موريتانيا فقط".

ومن الدراسات الأخرى التي اعتمدنا عليها كثيراً رسالة دكتوراه للباحث الجزائري "شيخ لعرج" بعنوان: موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار في شمال وغرب إفريقيا خلال القرنين 19-20م، والتي أحالتنا إلى مصادر الطريقة التجانية ومدى انتشارها ومعرفة مواقفها من الاستعمار بين ضفتي الصحراء.

إلاّ أن هاتين الدراستين في نظرنا تبقى غير كافيتين، بالنظر إلى رقعة جغرافية شاسعة بحجم السودان الغربي، ثم أن كلاهما تخصص في دراسة نموذج ومجال معين. هذا وقد إلى اعتمادنا على دراسات أخرى تناولت التصوف أو السودان الغربي أو أحد أقطاره، في جانب من الجوانب الحضارية المختلفة، كالحياة الثقافية أو القوافل التجارية وغيرها.

ومن بين المراجع الهامة، التي اعتمدنا عليها في دراسة الجانب الجهادي نذكر: كتاب آدم عبد الله الإلوري "الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني"، والذي حاول من خلاله ربط الماضي الجهادي بالحاضر البطولي لشهداء الإسلام في عصره، كونه عاش زمن ذروة الحركة التحررية التي عرفتها المنطقة عقب نهاية الحرب العالمية الأولى، إضافة لكونه أحد أبرز العلماء في منطقة غرب أفريقيا، وأحد المتأثرين بالطريقة القادرية، إذ مكّننا من الاطلاع على شخصية الشيخ عثمان بن فودي الصوفية الجهادية، باعتباره ظاهرة إفريقية خالصة أحد أشهر أعلام التصوف في العصر الحديث ببلاد التكرور.

كما اعتمدنا أيضاً على كتاب "الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي-خلال ق19م" لأحمد الأزمي، وهو في الأصل أطروحة جامعية من ثلاثة أجزاء. أفادنا هذا الكتاب في الاطلاع على تاريخ الطريقة التجانية وانتشارها، وتراجم شيوخها وأعلامها.

أما فيما يخصُّ المقارنة والسِّجال الفكري بين الطريقتين، فقد اعتمدنا على جملة من المراجع والمقالات المتخصصة، نذكر منها: كتاب محمد الصالح حوتية "توات والأزواد"، الجزء الأول، بالإضافة إلى عدة مقالات نذكر منها "دور القادرية الكنتية في التبادل الثقافي بين بلاد شنقيط وبلاد المغرب خلال القرنين (18-19م)"، للدكتور أجه ولد محمد.

ويعتبر كتاب علي حرازم برادة "جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني"، من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في الترجمة للشيخ أحمد التجاني، وأوراد الطريقة وانتشارها، باعتباره أهم مصدر تيجاني لأن شيخ الطريقة هو من أملاه على كاتبه علي برادة تلميذه المقرب وأحد أكبر خلفائه.

وقد اشتملت دراستنا الجمع بين الطريقتين القادرية والتجانية معاً، مركزين على دورهما الجهادي في منطقة السودان الغربي خلال القرنين 19و20م، باعتبارها الفترة التي شهدت نشاطاً جهادياً مكثفاً، قاده زعماء الطرق الصوفية في مواجهة المرامي التوسعية الأوروبية في المنطقة، وهو ما يجعل الدراسة مختلفة نوعاً ما عن الدراسات السابقة.

ولعل ما دفعنا للبحث في هذا الموضوع، هو الرغبة في التعرُّف والتعرِيف بمنطقة السودان الغربي أو ما يُسمى بإفريقيا جنوب الصحراء، خاصة وأنها مجال تخصُّصِنا في مرحلة الماستر، إضافة إلى رغبتنا في الاطلاع على مرحلة هامة من التاريخ الاسلامي الحديث، وتاريخ التصوف وانتشاره ودوره في هذه المناطق التي لم نكن نعرف عنها إلاّ النذر القليل.

ويعدُّ موضوع التصوف في غرب إفريقيا من المواضيع الشائكة التي تطرح إشكالات عديدة ومتنوعة، لكونه من المواضيع الحسّاسة التي كان لها تأثيراً وبارزاً وشاملاً في شتى نواحي الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية، حيث تصدرت الطريقتين القادرية والتجانية حركتي الإصلاح والجهاد ضد الوثنية والاستعمار، في ظل تباين المواقف تارة والتوافق تارة أخرى. وبالتالي ارتأينا أن نعالج هذا الموضوع من خلال **إشكالية محورية** تتفرع إلى تساؤلات فرعية:

- ما الظروف والدوافع التي ساهمت في انتشار الطرق الصوفية وانتقالها من الضفة الشمالية للصحراء إلى جنوبها ؟
- ما مدى تأثير ونجاح الطرق الصوفية في مساعيها الإصلاحية والجهادية في السودان الغربي ؟
- أوجه التوافق والاختلاف بين الطريقتين القادرية والتجانية في المواقف والأساليب الإصلاحية والجهادية ؟

ومن أجل دراسة الموضوع ومعالجة الإشكالية المطروحة اعتمدنا المنهج التاريخي الذي يستخدم استقراء الحوادث التاريخية والوصف والتحليل، كما اعتمدنا المقارنة أحياناً كأداة لاستخلاص أوجه التوافق والخلاف بين الطريقتين.

ولتناول الموضوع والإلمام بجميع جوانبه اعددنا خُطة، من مقدمة وفصلين يتفرع كل منهما إلى مبحثين وعناصر ثانوية بالإضافة إلى خاتمة.

فكان الفصل الأول بعنوان: السودان الغربي والطرق الصوفية؛ تناولنا في مبحثه الأول التحديد الجغرافي للسودان الغربي، وبعض الخصائص الطبيعية المرتبطة بالموقع، وما تعلق بالتسمية والسكان. وفي عُنصر آخر تناولنا الخلفية التاريخية، وانتشار الإسلام وأشهر الممالك التي نشأت في السودان الغربي، وبعض المظاهر الحضارية المميّزة لها.

أما المبحث الثاني فقد خصصناه للتعريف بالطريقتين القادرية والتجانية، وروادهما وانتشارهما بين حواضر شمال الصحراء والسودان الغربي.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان المواقف الجهادية للطريقتين في السودان الغربي، وقد قسمناه إلى مبحثين، تناولنا في المبحث الأول الدور الجهادي للطريقتين، من خلال دراسة أبرز الحركات الجهادية الدينية التي شهدتها منطقة السودان الغربي خلال القرنين 19و20م، وبالأخص تلك التي قادها شيوخ الطريقتين، كانت البداية بالحركات القادرية، على غرار حركة الشيخ عثمان بن فودي، وأحمدو لوبو الماسيني، إضافة إلى المواقف المتباينة للقادريين في بلاد شنقيط، ثم تطرقنا إلى دور التجانيين في الحركة الجهادية في غرب أفريقيا، وذلك بدراسة الحركة العُمرية ومواقف شيوخ التجانية من المقاومة بعد استشهاد الحاج عمر الفوتي.

أما المبحث الثاني، من هذا الفصل فقد جاء بعنوان الخلاف والتوافق بين الطريقتين، باعتبارهما أكثر الطرق الصوفية انتشاراً في المنطقة محل الدراسة، لذا كان من الطبيعي أن يظهر نوع من التنافس بينهما، بدأ فكرياً ثم تطور إلى أن وصل في بعض الأحيان حد الاقتتال، لكن هذا لم ينفِ وجود توافق في رؤى وفكر الطريقتين، مادام الهدف واحد هو الإصلاح ونشر الإسلام والحفاظ على بيضته.

ليُختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، إضافة لبعض التساؤلات التي تبقى مطروحة حول تضارب آراء أقطاب الطريقة الواحدة من كيفية التعامل مع نازلة الاستعمار.

وعموماً تبقى هذه الدراسة مجرّد محاولة إضاءة لموضوع واسع جدير بالدراسة والمقارنة بين أكبر طريقتين صوفيتن في غرب أفريقيا، بل الأكثر انتشاراً في العالم، في جزئية واحدة هي تاريخهما الجهادي، نظراً لتشعب مواضيع التصوف واختلاف الآراء والدراسات حول مسألة الجهاد الصوفي، ولعل هذا الأمر يندرج ضمن الصعوبات التي واجهتنا في إعداد بحثنا، ولهذا فالإلمام بالموضوع شرفٌ لا ندعيه بل نعترف بالعجز والتقصير، اتجاه هكذا مواضيع تمثل امتداداً لتاريخنا الاسلامي، ومجالٌ خصبٌ يتطلب بذل الكثير من الجهد والبحث لإعادة صياغة تلك العلاقات التي نسجها أسلافنا، والاستفادة من تاريخنا لإصلاح واقعنا واستشراف مستقبل أفضل، وبذلك نكون قد تركنا الباب مفتوحاً للدراسات والبحوث الأكاديمية اللاحقة للتطرق إلى إشكاليات جديدة مرتبطة بالتصوف والسودان الغربي.

الفصل الأوّل

الفصل الأول :
السودان الغربي والطرق الصوفية

1- المبحث الأول: السودان الغربي- المجال الجغرافي والخلفية التاريخية-

1 ـ 1 . المجال الجغرافي للسودان الغربي.

1 ـ 2 . الخلفية التاريخية وانتشار الإسلام في السودان الغربي.

1 ـ 2.أ. الممالك الإسلامية في السودان الغربي.

1 ـ 2.ب. انتشار الإسلام في السودان الغربي.

2- المبحث الثاني: الطرق الصوفية في السودان الغربي.

2 ـ 1 . الطريقة القادرية، النشأة والانتشار.

2 ـ 1.أ. نشـأة الطريقـة القادرية.

2 ـ 1.ب. أوراد الطريقة القادرية.

2 ـ 1.ج. انتشارها في غرب إفريقيا

2 ـ 2. الطريقة التجانية، النشأة والانتشار

2 ـ 1.أ. التعريف بالطريقة ومؤسسها

2 ـ 1.ب. نشأتها التجانية وأورادهـا

2 ـ 1.ج. انتشارها في غرب إفريقيا

1- السودان الغربي المجال الجغرافي والخلفية التاريخية:

رغم انتشار التصوف وتأثيره في مختلف المجتمعات الإسلامية إلاّ أنه ارتبط أكثر بالسودان الغربي، فلا يكاد يذكر اسم السودان الغربي أو إفريقيا جنوب الصحراء إلاّ ويذكر التصوف أو الطرق الصوفية، خاصة الطريقتين القادرية والتجانية أو أحد أعلامهما لِمَا لعبتهُ تلك الطرق من أدوار مشرِقة في تاريخ المنطقة سواءً على المستوى السياسي أو التعليمي أو الجهادي.

إذ تُعد الطريقتين القادرية والتيجانية من أبرز الحركات الدينية الإصلاحية التي كان لها دورٌ كبير في نشر الإسلام وتصحيح العقيدة والتصدي للاستعمار الأجنبي، حيث قام رجال هذه الطرق ومريديها بحركات الإصلاح والتجديد، ونجحوا في إرساء أسس العقيدة الإسلامية على أساس صحيح، فإلى يومنا هذا مازالت شعوب غرب إفريقيا تدين بالولاء إلى زعماء هذه الحركات الإصلاحية لدورهم في النهوض بكافة مجالات الحياة في غرب إفريقيا من خلال نشر الحضارة الإسلامية بما في ذلك الجوانب الثقافية والتعليمية، والتي تعتبر الروافد الأساسية التي انطلقت من خلالها تلك الطرق الصوفية[1].

ولأن انتشار الحضارة العربية والإسلامية في السودان الغربي اقترن بظاهرة التصوف، فإننا سنعالج في هذا الفصل الأول من موضوعنا ما يتعلق بالتحديد الجغرافي للسودان الغربي ودراسة الخلفية التاريخية للمنطقة، ونشأة وانتشار الطرق الصوفية القادرية والتجانية، وذلك من خلال مبحثين رئيسيين يتفرعان إلى عناصر ثانوية لتغطية جوانب الموضوع حسب خطة المشروع.

1 – محمد علي عفين، الطريقة التيجانية ودورها الديني والثقافي في إفريقيا جنوب الصحراء في النصف الأول من القرن19م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية المج 15، ع 01، س2018، جامعة الموصل قسم التاريخ، ص ص1054، 1055.

1.1- تعريف السودان الغربي وتحديد مجاله الجغرافي:

يُعتبر السودان الغربي جزءً من المنطقة التي كان تُعرف ببلاد السودان خلال العصور الوسطى، والتي عرفت انتشار الإسلام خلال هذه المرحلة. ويُعتبر المسلمون العرب هم من أطلق اسم السودان على الشعوب والقبائل التي سكنت جنوب الصحراء[1]، وأصل التسمية مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة.[2]

وقد حددها القلقشندي بقوله "أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن، ومن الشمال براري تمتد لما بين مصر وبرقة وبلاد البربر، من جنوب المغرب إلى البحر المحيط"[3].

وذكر المسعودي" أن بلاد السودان هي المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الهندي إلى بحر الظلمات"[4]. كما ذكرها معظم المؤرخون في المصادر التاريخية والجغرافية والرحلات على غرار الاصطخري في مسالك الممالك والمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم، وابن حوقل في مؤلفه صورة الأرض، وأبو عبد الله البكري في المسالك والممالك، والقزويني في آثار البلاد وأخبار العباد، وابن خلدون في ديوان العبر وابن بطوطة وغيرهم[5].

وعموماً فإن بلاد السودان من خلال التعريفات السابقة يقصد بها المنطقة الجغرافية الواسعة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى الممتدة إلى الغابات الاستوائية جنوباً، ومن البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً.

---

1 – الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص17.

2 – جاسم ظاهر، إفريقيا ما وراء الصحراء، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ص34.

3 – القلقشندي أبو العباس، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1333هـ/1915، ص273.

4 – المسعودي علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت لبنان: المكتبة العصرية، 1988م، ص240. **نقلاً عن**– محمد مولاي، القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي خلال ق(15م- 18م) رسالة دكتوراه، إشراف د. أحمد الحمدي، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2018-2019، ص17.

5- محمد مولاي: نفس المرجع، ص ص17، 18.

ويقسم المؤرخون السودان إلى ثلاث أقسام أساسية[1] وهي:

– السودان الشرقي: يشمل مناطق واد النيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة.

– السودان الأوسط: الذي يشمل بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها في إفريقيا الوسطى.

– أما **السودان الغربي** الذي هو محل دراستنا فيمتد من بحيرة تشاد شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن السفوح الجنوبية للصحراء الكبرى شمالاً إلى تخوم الغابات الاستوائية جنوباً، وبذلك فهو يشمل حالياً عدة دول تشرف معظمها على المحيط الأطلسي كالسنغال وما جاوره وغامبيا، غينيا ببساو، غينيا، سيراليون، ليبريا والدول المطلة على خليج غينيا من ساحل العاج إلى الغابون مروراً بساحل الذهب(غانا)، وفولتا العليا (بوركينافاسو)، التوغو، البنين، نيجيريا، الكامرون بالإضافة إلى الصحراء الغربية موريتانيا ومالي والنيجر في الشمال[2].

أما فلكياً، فتمتد المنطقة بين دائرتي عرض04^0 و16^0 شمال خط الاستواء، وخطي طول 13^0 شرقاً و17^{0}غرباً[3] بالنسبة لخط غرينتش، وهي المنطقة المعروفة حالياً بإفريقيا جنوب الصحراء، حيث تقدر مساحته حوالي2.4 مليون ميل^2 أي ما يعادل 3.84 مليون كلم^2.[4]

وتتميز منطقة غرب إفريقيا من حيث السطح بالارتفاعات والنتوءات، أبرزها مرتفعات بوتشي شمال نيجيريا، وهضبة فوتا جالون، التي تفصل بين المجاري المائية التي تنحدر نحو المحيط الأطلسي وبين منابع بهري السينغال والنيجر حيث المنخفضات، بالإضافة إلى الشريط السهلي

1 – زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص11.

2 – يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن16 إلى مطلع القرن20 ، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2008، ص10.

3 – محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية المسلمون في غرب إفريقيا– تاريخ وحضارة، ط1، بيروت لبنان: د. الغرب الإسلامي، 1988، ص19.

4 – السر سيد أحمد العراقي، "بلاد غربي إفريقيا الإسلامية عبر التاريخ"، مجلة جامعة إفريقيا الع، ع14، ليبيا،2006، ص33

الساحلي الذي يزداد اتساعاً عند مصاب الأنهار الرئيسية، النيجر وفولتا والسنغال، كما تنتشر بالمنطقة التربة المدارية ذات اللون البني.[1]

ويسود منطقة غرب إفريقيا المناخ المداري مع بعض التنوع والاختلاف من جهة لأخرى، كما ترتفع معدلات الحرارة والتساقطات خاصة في فصل الصيف[2]، مما يؤدِّي إلى جريان الأنهار "نهري السنغال والنيجر" وانتشار الحشائش الخشنة وزراعة البن والمطاط والقطن[3]. كما تتنوع الثروة الحيوانية من البقر والفيلة والزرافة والأسود والغزلان والماعز، بما في ذلك الأسماك[4].

كما تزخر المنطقة بثرواتها المعدنية، خاصة الذهب الذي يستخرج من نهر النيجر والمناجم الموجودة في باطن الأرض، ولكثرته سميت المنطقة بأرض الذهب، حيث تذكر المصادر أنها كانت المصدر الرئيس لتموين العالم بالذهب لفترة طويلة، بالإضافة إلى معادن أخرى كالنحاس والحديد والرصاص والفضة[5].

استوطن السودان الغربي عدة قبائل وشعوب زنجية وأخرى حامية اندمجت مع بعضها ومع غيرها كالعناصر البربرية والعربية البيضاء وبعض الأقليات الآسيوية والأوروبية في فترات تاريخية متأخرة قطنت السواحل دون أن تمتزج بالسكان أصليين[6]، ومن أشهر تلك القبائل الزنجية نذكر: التكرور[7]

1 – أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب، 2002، ص133.

2 – أنور عبد الغني العقاد، الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ الرياض، 1983، ص ص270، 271.

3 – أحمد نجم الدين فليجة: نفس المرجع، ص179

4 – الهادي مبروك الدالي: مرجع سابق، ص280

5 – المرجع نفسه، ص ص283، 284.

6 – دافيدسون، إفريقيا تحت أضواء جديدة، تر. م. أحمد، بيروت، 1963، ص183. **نقلاً** عن- خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج1، الجزائر: دار ابن طفيل، 2012، ص207.

7 – **التكرور** عرفه محمد بللو بن عثمان بقوله" أعلم أن هذا الاسم هو الإقليم الغربي من الجنوب السوداني على ما فهمنا من تعبيرهم في التواريخ وهذا الاسم شائع في الحرمين ومصر والحبشة"– محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور، تح: علي عبد العظيم وآخرون، القاهرة: وزارة الأوقاف، 1383هـ/1964م، ص47.

و الماندي[1]، الفولاني[2]، السوننكي[3]، اليوروبا[4]، الموشي[5] وغيرها، اختلفت هذه الشعوب عن بعضها في اللغة والدين والحِرَف والعادات والتقاليد[6].

لقد حملت العناصر التي استوطنت الصحراء الكبرى وغربي إفريقيا معتقداتها الدينية معها، فكان من آثاره انتشار الإسلام والثقافة العربية في الجهات الشمالية والمناطق الداخلية، بينما تنتشر الوثنية في المناطق الجنوبية إلى جانب المسيحية في معظم المناطق الساحلية[7].

2.1– الخلفية التاريخية وانتشار الإسلام في السودان الغربي: إذا كان تاريخ إفريقيا الشمالية معروفاً إلى غاية ما قبل الفتح الإسلامي، فإن إفريقيا الغربية أو ما يُعرف ببلاد السودان الغربي لم تكن كذلك، كغيرها من مناطق أدغال القارة، فقد كانت مجهولة تعيش طور البداوة والتخلُّف الحضاري، متقوقعة على نفسها منعزلة عن التأثيرات والتواصل الخارجي، ذلك لأنها لم تكن تستهوي اهتمام المستكشفين والرحالة، ونظراً لصعوبة اختراقها والوصول إليها، لوعورة المسالك وخطورتها سواءً الشمالية الصحراوية أو الساحلية الغربية عبر المحيط والأنهار، أضف إلى ذلك قلّة أهميتها الاقتصادية آنذاك، إذ لم تكن كنوزها اكتشفت بعد، لذا لم تنل حظها الوافر في كتابات الرحالة والمؤرخين.

---

1 – **الماندي** أو المانديجوا أو مانكا أو ماندِيج تسميات أطلقها البرتغاليون على قبائل ذات أصل واحد، بينما أطلق عليهم الفلانيون والفرنسيون المالنك، أما قبائل الهوسا فقد أطلقت عليهم وتقارة. – أنظر: مقاديم عبد الحميد، المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي، رسالة دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018، ص12.

2 – **الفولان** مرادف الهوسا ويسمون أنفسهم "الفولب fulbe"، والمفرد من هذا الاسم يسمى "البولو" pulo، وهم الشعب الوحيد في غرب أفريقيا الذي يماس الرعي. انظر: فيج.جي.دي، تاريخ غرب أفريقيا، تر: السيد يوسف ناصر، القاهرة: دار المعارف، 1982، ص30، 79.

3 – **السنونوكي**: هم الفرع الشمالي من قبائل الماندي يتواجدون بين مالي والسنغال وموريتانيا وغامبيا وساحل العاج، كان لهم دور كبير في نشر الإسلام بعد اندماجهم مع القبائل العربية المهاجرة. انظر: مقاديم عبد الحميد، نفس المرجع، ص12.

4 – **اليوربا**: قبائل زنجية تنتشر في الجنوب الغربي والإقليم الشمالي لنيجيريا، عرفت الإسلام عن طريق قبائل الفولان مطلع ق15م، وكانت لهم حضارة عريقة. نفسه، ص20.

5 – **الموشي**: شعوب وثنية يسكنون المنطقة المحصورة بين نهر النيجر شرقاً ونهر فولتا غرباً، أقاموا مملكة وثنية على منحى نهر النيجر، عرفوا الإسلام بعد خضوعهم لسلطة الصنغاي على عهد الآسكيا محمد الكبير. نفسه، ص19.

6 – يحي بوعزيز، المرجع السابق ص10.

7– خير الدين شترة: نفس المرجع، ص207.

1 ـ 2.أ– الممالك الإسلامية في السودان الغربي: خلال العصر الوسيط وتزامناً مع انتشار الإسلام تشكلت الحواضر الاقتصادية والعلمية وازدهرت ممالك السودان الغربي وذاع صيتها وبلغت شهرتها الآفاق[1]، وأصبحت قبلةً للرحالة والمستكشفين والقوافل التجارية، وقد كان لهذا الأخير الدور البارز في نقل مظاهر الحضارة العربية الإسلامية لتلك الناطق إلى جانب عوامل أخرى؛ ولعل أبرز تلك الممالك التي عرفها السودان الغربي[2] نجد: مملكة غـانـة[3] ومملكة مالي[4] ومملكة صُنغاي[5].

أ– مملكة غـانـة: تعتبر من أقدم الممالك في بلاد السودان الغربي، يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الثالث الميلادي، اتخذت كومبي صالح عاصمة لها، وقد اتسع نفوذها لتتربع على مساحة شاسعة تمتد من نهر النيجر شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي غرباً إلى حدود الصحراء الكبرى شمالاً[6]،

وقد بلغت أوجّ قوتها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، تزامناً مع انتشار الإسلام واستقرار أعداد كبيرة من المسلمين، ساهموا بدورهم في تعزيز العلاقات التجارية مع بلدان شمال الصحراء لأهمية موقعها الجغرافي المحادي لطريق القوافل، حيث كانت صادراتها من الذهب والجلود، بينما كانت تستورد القماش والنحاس والملح[7].

---

1 – أحمد بوعتروس، الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء،(13هـ/19م)، الجزائر: دار الهدى، 2009، ص35.

2 – **ينظر:** خريطة ممالك السودان الغربي، ملحق1، ص66.

3 – **غانة:** إحدى الإمبراطوريات الإفريقية العريقة التي قامت في السودان الغربي، بلغت ذروة مجدها وعظمتها خلال ق11/9م، وليس المقصود دولة غانا الحديثة المعروفة بساحل الذهب، إنما مملكة غانة القديمة بالقرب من الحدود الجنوبية لموريتانيا ودولة مالي الحالية وعلى بعد 200 ميل شمال العاصمة بماكو، – إبراهيم على طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973ص15.

4 – **مالي:** مملكة عظيمة كونها شعب الماندينغو، بلغت أوج عظمتها في القرن9هـ/14م، وقد وردت في المصادر بأسماء مختلفة: ملل، ملِّ، ملي... ومن الذين ذكروها بلفظ مالي ابن بطوطة، – ابن بطوطة،ج2، المطبعة الخيرية، ط1، 1322هـ، ص237، **و** الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: م.حجي، م.لخضر، ج2، بيروت لبنان: د.الغرب.إ، ، ط2، 1983، ص164.

5 – **صنغاي:** وردت بلفظ صُنْغَيْ، وصِنغي، وسُنغي وهي من أطول الدول عُمراً في السودان الغربي إذ يعود تاريخها إلى القرون الميلادية الأولى، حيث عاصرت إمبراطوريتي غانة ومالي، وبقيت بعدهما إلى غاية 1594م، وقد عرف تاريخها مرحلتين "الوثنية والإسلام" يفصل بينهما عام1009م تاريخ اعتناق ملكها الإسلام، – أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية، ج6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط5، 1990، ص 121.

6 – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص21.

7 – إبراهيم على طرخان، المرجع السابق، ص42.

عَرف الإسلام طريقه إلى غانة في وقت مبكر، حيث أشار البكري في وصفهِ لها قائلاً "غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً احدها يجمعون فيه، ولها الأيمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء"[1] والكثير من العلماء والطلاب، كما كانت اللغة العربية هي لغة التدريس في كل أنحاء الدولة[2]. وقد قويت شوكة الإسلام في غانة حينما خضعت لسلطة المرابطين وأصبح ملوكها مسلمين[3]، إلى أن سقطت على يد قبائل الصوصو في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وفرّ مسلموها إلى ولاتة وأقاموا بها مراكز تجارية عظيمة ساهمت في ازدهار ولاتة وشهرتها.[4]

ب– مملكة مالي: من أعظم ممالك السودان الغربي، قامت على يدي شعب الماندي المسلم، الذي تصدى لقبائل الصوصو الوثنية والانتصار عليهم بقيادة سوندياتاكيتا سنة1235م، مما أهلهم لتكوين دولتهم وتوسيع رقعتها على أنقاض مملكة غانة بعد القضاء عليها نهائياً 1240م.

واصل ملوك مالي جهودهم في تشييد وتوسيع مملكتهم التي أصبحت تمتد من برنو شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن الصحراء الكبرى شمالاً إلى فوتا جالون جنوباً[5]، واتخذوا نيامي عاصمة لهم، ومن أشهر ملوكهم بعد المؤسس سندياتا نذكر منسى علي، ومنسى موسى، وفي عهد هذا الأخير (1304-1332م) بلغت المملكة ذروة ازدهارها وتعددت علاقاتها مع توات ومصر خاصة بعد رحلته الحجية المشهورة 1324م وقد أضفى على مالي الصبغة الإسلامية[6]. لتستمر في القوة والتوسع خلال القرن15م حتى وصلت حدودها مناجم الملح في الشمال وأطراف السفانا جنوباً ومناجم النحاس عند تكدا شرقاً[7].

---

1 – البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، القاهرة: دار الكتاب الاسلامي، ص175.

2 – مهدي رزق الله أحمد، التجارة والإسلام والتعليم الاسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1998، ص169.

3 – إبراهيم طرخان، المرجع السابق، ص53.

4 – مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص178.

5 – زبادية عبد القادر، المرجع سابق، ص16.

6 – محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص83.

7 – مهدي رزق الله احمد، المرجع السابق، ص207.

وبحلول القرن16م عرفت مملكة مالي تمزقاً سياسياً، نتيجة تنافس أفرد الأسرة الحاكمة على السلطة، حيث انفصلت عنها أقاليم ومناطق شاسعة، شكلت ممالك ناشئة مثل تمكتو وجاو وصُنغاي، وقد كانت هذه الأخيرة من قضى على ما تبقى من مملكة مالي واستولى على نطاق نفوذها[1].

جـ- مملكة صنغاي:[2] بعد استقلالها عن إمبراطورية مالي1335م اتخذ ملوكها لقب سُنّي وعملوا على توسيع رقعتها خاصة في عهد سُنى علي (1464-1492م) الذي خلَّص بلده نهائياً من التبعية لمالي[3]، واتخذ **جاو**[4] عاصمة له وضمّ تمبكتو وجنّي، وقد بلغت مملكة صنغاي ما لم تبلغه مملكتي غانة ومالي من حيث القوة والسيطرة، خاصة خلال القرنين 15-16م، ففي عهد الآسكيا محمد تم تنظيم الإدارة والجيش واهتم بالشؤون الدينية، كما اشتهر برحلته الحجية 1495م التي فاقت رحلة منسى موسى في الأُبّهة والكرم، وقد استطاع أن ينشر الإسلام والسلام في جميع أنحاء المملكة، وبلغت صُنغاي في عهده ذروة اتساعها وقوتها[5].

لكن بعد آسكيا محمد تنافس على السلطة ملوك كان همّهم الكرسي، فتدهورت أحوال المملكة إلى أن انتهت بسقوطها على يد حملة المنصور السعدي سنة1591م [6].

د- مملكة الهوسا: ظهرت في المنطقة الواقعة حالياً شمال نيجيريا وجنوب النيجر، وقد تشكلت أول الأمر من سبعة إمارات وثنية مختلفة عرقياً، يتكلمون لغة "الهوسا"، وقد عرفت الإسلام حوالي منتصف ق8هـ/14م من خلال دور التُجار والدعاة والمصلحين، كما كان لاعتناق أمرائهم الإسلام وما اتسموا به من عدالة وإخلاص دور في ذلك؛ حيث أقاموا المساجد ومراكز التعليم واهتموا

---

1 - محمد مولاي، المرجع السابق، ص26.

2 - **ينظر**: خريطة مملكة صُنغاي الإسلامية، ملحق2، ص67.

3 - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (د س)، ص322.

4 - **جاو** عاصمة صنغاي، كانت تعرف أيضاً بـ كوكو وكوكيا وكاغ وجاغ، قال عنها اليعقوبي "أنها كانت أعظم ممالك السودان، وكل الممالك تعطي لملكها الطاعة، والرياسة"، وقد زارها ابن بطوطة وقال أنها "من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها". - أحمد شلبي، المرجع السابق، ص169.

5 - حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، (د.ط، د.ن)، 1957، ص ص66...69.

6 - محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص 122.

بالعلماء فتوافد إليها الدعاة والمصلحين، على غرار الإمام المغيلي الذي أقام فيها مدة لنشر دعوته، وقد ساعده في ذلك استجابة الأمراء واحتضانهم لدعوته.[1] ولعلّ ما ميّز شعب الهوسا مسالمتهم واشتغالهم بالأنشطة الاقتصادية، بالإضافة إلى عدم امتلاكهم وسائل الدفاع، مما جعلهم محل أطماع الممالك المجاورة، حيث سقطت بسهولة أمام توسعات الآسقيا محمد[2].

هـ– مملكة برنو: نشأت شرق بلاد السودان الغربي وقد وصلها الإسلام في القرن/7م عن طريق طرابلس الغرب، حيث تشير المصادر إلى أن ملكها (ميي– جيلمي) أول ملك اعتنق الإسلام ومعه أفراد عائلته وحاشيته[3]، ومع حلول القرن 4هـ/10م عمّ الإسلام كامل المملكة وأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية لحكومة برنو[4].

وقد عرفت السلطنة أزهى عصورها خلال القرن10ه/16م خاصة في عهد "إدريس علُّومة" الذي أضفى على السلطنة الطابع الديني، من خلال نشر الإسلام وبناء المساجد وقد استطاع توحيد القبائل المختلفة[5]، كما ازدهرت الحركة التجارية وتعددت علاقاتها مع الدول المجاورة كالإمبراطورية العثمانية، لكن بعد وفاة السلطان إدريس تراجع دور المملكة[6].

1 ـ 2.ب– انتشار الإسلام في السودان الغربي: سلك الإسلام طريقه إلى غرب إفريقيا قادماً من الشمال وعبر الصحراء الكبرى وطرق القوافل التجارية نحو الثنية الشمالية لنهر السنغال، والمنحى الشمالي لنهر النيجر وحوض بحيرة تشاد، وغانة، وذلك ابتداءً من القرن1هـ/7م بفضل جهود الفاتحون الأوائل، خُلفاء عقبة بن نافع وعلى يد التجار العرب والبربر ومن اقتفى أثرهم من الدعاة المصلحين، في تلك المناطق كـتمبكتو وغاو وجني وغانة، وبين شعوبها كالماندينغ والسنونكي، وقد تعزز ذلك بجهود المرابطين في منتصف القرن5ه/11م فقد كان لهم الدور الريادي

1 – رجب محمد عبد الحليم، تاريخ المسلمين في غرب إفريقيا جنوب الصحراء، القاهرة: ش سفير، 1996، ص ص51...53.

2 – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص324.

3 – عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، القاهرة: دار الأمين ن ت، ط01، 2000، ص80.

4 – زبايدية عبد القادر، المرجع السابق، ص24.

5 – أحمد شلبي، المرجع السابق، ص293.

6 – محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص138.

في نشر الإسلام وتقويض الوثنية في تلك المناطق، وبذلك تكونت أول نواة للإسلام في مملكة غانة والتي ظهرت على أنقاضها إمبراطوريتي مالي وصُنغاي الإسلاميتان[1].

➢ **عوامل انتشار الإسلام في السودان الغربي:** انتشر الإسلام في بلاد السودان الغربي بالطرق السلمية، بفضل طبيعة العلاقات بين سكان شمال الصحراء وجنوبها، والمتمثلة في المعاملات التجارية والهجرات بالإضافة إلى قوافل الحج ودور الدعاة والطرق الصوفية.

أ– القوافل التجارية: لعب التُجار المسلمون دوراً هاماً في تعزيز الصلات بين شمال إفريقيا وشرقها ببلاد السودان الغربي، وعن طريقهم انتشرت الثقافة العربية والإسلام[2]، ليِصل حيث وصل التُجار المسلمون، ذلك أن هؤلاء التجار كانوا يمارسون الدعوة إلى الله بفعل صدقهم وأمانتهم وأخلاقهم ونظافتهم وتعاليم الإسلام وإنشائهم لحلقات الذكر وتدريس القرآن[3]، فكانوا المثل الأعلى والقدوة الحسنة للأفارقة الذين اقتنعوا برسالة الإسلام التي لا تقيم وزناً لِلَونٍ أو جنسٍ أو جاهٍ، بقدر ما تقيم وزناً لطاعة الله وتوحيده وحسن معاملة الآخرين[4].

وفي ذات السياق يذكر السعدي قصة إسلام ملك جني[5]، أنه عندما أراد أن يدخل في الإسلام أمر بإحضار من فيها من المسلمين، الدعاة والتجار والعلماء وقد تم إحصاؤهم، فكان عددهم يقرب أربعة الآف ومئتان من المسلمين، فأسلم على أيديهم، وأذن لهم في الدعوة إلى الإسلام فدخل الجميع في دين الله أفواجاً، وقد هدّم قصره وبنى عليه مسجداً جامع[6].

ب– الدعاة والمصلحين: رافق دخول الإسلام إلى مناطق السودان الغربي الكثير من الدعاة والفقهاء الذين عملوا على نشر تعاليم الدين الإسلامي، ومحاربة الشرك والوثنية وِفقَ ما أمر الله نبيه

---

1 – محمد فاضل علي باري، نفس المرجع، ص35.

2 – عثمان برايماباري، المرجع السابق، ص88.

3 – حسن ابراهيم حسن، مرجع سابق، ص33

4 – محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط01، 1983، ص218.

5 – **مدينة جني:** من أهم المراكز العلمية والتجارية في السودان الغربي، تأسست عام 1033م، اعتنق أهلها الإسلام 1203م.
– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص156.

6 – أحمد شلبي: المرجع السابق، ج6، ص102.

محمد صلى الله عليه وسلم "ادْعُ إِلَىٰ **سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[1].

وقد أورد البكري في المسالك والممالك مجموعة من الدعاة الذين قَدِمُوا إلى بلاد السودان الغربي، وإلى غانة تحديداً منهم العربي أبو عبد الله المكي والفقيه المغربي أبو محمد عبد الملك، كما تُعزي المصادر التاريخية الفضل للدُّعاة العرب في إسلام الكثير من ملوك السودان الغربي، مثل ملك صُنغاي (400هـ/1010م) الذي أسلم طواعية واتخذ لنفسه اسم "مسلم داه"، ومعناه من أسلم طواعية دون إكراه[2]. وقد تواصلت مهمة نشر الإسلام وتجديده في فترات لاحقة، من خلال الحركات الإصلاحية التي قادها شيوخ الطرق الصوفية على غرار الإمام المغيلي والشيخ عثمان فودي والحاج عمر الفوتي وغيرهم.

جـ- الهجرات: بعد أن كانت هجرة القبائل البربرية من بلاد المغرب نحو السودان الغربي موسميةً ولأغراض ظرفية مرتبطة بالتجارة غالباً، تغيرت بعد الفتح الإسلامي لتصبح من أجل الإقامة الدائمة، إذ يقول البكري في حديثه عن غانة "أن بني أمية أرسلوا جيشاً إسلامياً لفتح بلاد السودان في صدر الإسلام، واستقرت ذرية هذا الجيش في بلاد غانة"[3].

كما أن أعداداً كبيرة من العرب والبربر دخلوا الحواضر السودانية واندمجوا مع سكانها، مثل جني وصنغاي ونياني عاصمة مالي واستقروا بها وأصبحوا يُعرفون بالبيضان، مما ساهم في انتشار الإسلام والثقافة العربية، إذ يقول السلطان آسكيا محمد الكبير" إن الكثير من قراء القرآن في بلاد السودان تعلموا العربية من القبائل التي هاجرت إلى السودان الغربي"[4].

---

1 – سورة النحل، الآية (125).

2 – البكري، المصدر السابق، ص183، **نقلاً** عن مقاديم عبد الحميد، المرجع السابق، ص34.

3 – إبراهيم طرخان، المرجع نفسه، ص44.

4 – عز الدين موسى، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، ص71، **نقلاً** عن: مقاديم عبد الحميد، المرجع السابق، ص37.

د- قوافل الحج: مثلت قوافل الحجيج رافداً هاماً من روافد التواصل الحضاري بين المشرق العربي والسودان الغربي، مروراً بالعديد من المراكز والحواضر الواقعة بينهما في بلاد المغرب ومصر وغيرها، وقد تعددت مآربها وغاياتها، حيث جمعت تلك الرحلات بين الأهداف الدينية التعبدية والأهداف الاقتصادية التجارية، والغايات الثقافية التعليمية لاقترانها بالعلم من خلال المشاهدات والزيارات ومرافقة العلماء واقتناء المؤلفات من مختلف صنوف العلم[1].

ولعل أشهر تلك الرحلات الحجية التي عرفها تاريخ السودان الغربي هي رحلة الملك منسى موسى(720ه/1324م) والذي مرّ خلالها بتوات ومصر، ورحلة الآسكيا محمد التي سجلت لقائه بالعلماء أمثال الإمام السيوطي، والتقائه في طريق عودته بالمغيلي[2] في تكدا وقد دعاه إلى جاو، ورحلة هذا الأخير أي— المغيلي- التي رافقه فيها تلميذه عمر الشيخ بن أحمد البكاي، و رحلة العالمين الجليلين "محمد بن عبد العزيز الجراري ومحمد بن أحمد بابا" التي كانت في 1039ه/1631م مروراً بتوات حيث التقيا بالرحّالة المغربي ابن مليح ضمن الركب المغربي وقد ذكر ذلك في رحلته[3].

كما أن الحج كان يمثل وسيلة وفرصة اللقاء بين شيوخ وأتباع الطرق الصوفية خاصة القادرية والتجانية المنتشرين عبر العالم، مما يزيد في تعزيز الارتباط وتقوية العلاقات فيما بينهم[4].

هـ- دور الطرق الصوفية: ارتبط انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا عامة وفي السودان الغربي خاصة بالطرق الصوفية، حيث عملت هذه الطرق على محاربة الشرك والوثنية ونشر تعاليم الإسلام الصحيح، ولعل انتشار تلك الطرق ووصولها إلى المنطقة كان مرافقاً للعلاقات التجارية ومواكباً لحركتي الهجرة والدعوة الإصلاحية التي تزعمها شيوخ ومريدي تلك الطرق، وفي مقدمتها

---

1 - أمطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ط1، بنغازي: دار الكتب الوطنية، 2005، ص ص166،165.

2 - **المغيلي:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم، ولد مطلع القرن9ه/15م في قبيلة مغيلة أحواز تلمسان، حيث حفظ القرآن ثم اخذ في طلب العلم متنقلاً بين الحوضر وشيوخ عصره كالشيخ يحي بن يدير، والشيخ عبد الرحمن الثعالبي، الذي أخذ عنه علم التصوف، ليتوجه أواخر السبعينات من ق15 نحو واحة توات والسودان الغربي، لتجسّيد مشروعه الإصلاحي، توفي بزاويته العامرة بقصر بوعلي1504م. - خير الدين شترة، المرجع السابق، ص ص297...314.

3 - أمطير سعد غيث أحمد، نفس المرجع، ص ص167، 169.

4 - مقاديم عبد الحميد، مرجع سابق، ص124.

القادرية والتجانية والسنوسية وما انبثق عنها من طرق فرعية، لعبت أدواراً متعددة تعليمية واجتماعية وجهادية[1].

2- الطرق الصوفية في السودان الغربي: تُعددت التعريفات وتضاربت الآراء حول مفهوم التصوُّف واشتقاقاته اللغوية ودلالته الاصطلاحية وأصله ومنشأه وتطوره والطرق التي تفرعت عنه، فمن المشايخ من جمع أزيد من ألفين قول في ماهية التصوّف[2] وقد لا يتسع بحثنا هذا لذكر كل تلك التعريفات والتفاصيل لأنها تتطلب بحث مستقل، لذا سنكتفي بذكر ما يتماشى وخطة بحثنا.

فهناك من نسب أصل التصوف واشتقاقه إلى "صَفوي" وبعد التخفيف أصبحت صوفي، وهناك من قال لصفاء سريرتهم، وقول آخر لأن مقامهم الصف الأول بين يدي المولى عزّ وجل، وقيل لقرب أوصافهم من أهل الصُّفة، وقيل من لبسِهم الصوف، ولعلَّ هذا الوصف الأخير أرجح الأقوال وأقربها إلى العقل، وأن المتصوِّف مأخوذ منه أيضاً، فيقال تصوَّف إذا لبس الصوف[3].

ومن التعريفات الكثيرة للتصوُّف نورد بعض النماذج المختارة عن أعلام الصوفية، حيث يلخِّصُه الإمام الجُنيد[4] في قوله "أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة"، وقيل عنه أيضاً أن "الصوفي هو الذي سَلِم قلبهُ كقلب إبراهيم من حُب الدنيا، وصار بمنزلة الحامل لأوامر الله، وتسليمه تسليم إسماعيل، وحزنه حزن داوود، وفقره فقر عيسى، وصبره صبر أيوب، وشوقه شوق موسى وقت المناجاه، وإخلاصه إخلاص محمد صلى الله عليه وسلم". و عرَّفه أبي الحسين النوري بقوله "التصوف ترك كل حظ النفس"[5].

---

1 – شوقي عطاالله الجمل، الأزهر ودوره السياسي في غرب إفريقيا، دار مصر للنهضة، 1998، ص106

2 – إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، ط1، لاهور،باكستان: إدارة ترجمان السنة، قومي بريس، 1986، ص37.

3 – نفسه، ص ص34 ،35.

4 – **الجُنيد** بن محمد الخزاز، أصله من نهاوند أما مولده ومنشؤه بالعراق، من علماء الفقه والتصوف، توفي 297هـ. – صادق سليم صادق، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية– عرضاً ونقداً– ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1994، ص35.

5 – إحسان أبهى ظهير، نفس المرجع، ص ص37، 39.

والتَصوُّف حسب ابن خلدون علمٌ من علوم الشريعة يقتدي المنتسبين إليه بسلف الأمة من الصحابة والتابعين، ويعكفون على العبادة والتحلي بالزهد والتخلي عن شهوات الدنيا[1].

وتتفق أغلب المصادر على أن التصوف هو التقرب إلى الله بعبادته والابتعاد عن ملذَّات الدنيا، وهو الانتهاء بالنفس والأخلاق الإنسانية إلى درجة الفناء في الحضور الإلهي، أو هو منهج سلوكي يعتمد على التقشف والتحلي بالفضائل لتزكية النفس والارتقاء بالروح[2].

أما **الطريقة** عند السادة الصوفيين فهي رابطة روحية، تتخذ التعبُّد والتنسُّك وسيلة لإصلاح النفس والمجتمع، وتقوم بالرياضة التي تسمو بها إلى درجة الاتصال الروحي بالملأ الأعلى، فيصير كل ما عدا الله باطلاً حقيراً في أعينهم. وفي ذلك تحقيق لمعنى "لا إله إلا الله" عندهم[3].

أما عن **الطرق الصوفية في السودان الغربي** فتشير المصادر التاريخية إلى تأخُّر ظهورها زمنياً مقارنةً بجهات أخرى من العالم الاسلامي، حيث يُعتبر القرن15ْ بداية لانتشار ما يمكن أن يُسمى بالتصوف الإفريقي، لأن أقطاب الطرق الصوفية وشيوخها حاولوا تكييفَ تلك الطرق وِفقَ ما يتناسب مع أفكار الشعوب الإفريقية وتقاليدهم، كما أنهم لم يحددوا شروطاً خاصة لقبول الانخراط في تلك الطرق[4].

اهتمت الطرق الصوفية أول الأمر بنشر الإسلام والتدين الصحيح، من خلال التعليم ومحاربة الشرك والوثنية، ثم تعددت وظائفها وأدوارها خاصة في مواجهة الاستعمار، ولعلَّ أشهر تلك الطرق الصوفية وأكثرها انتشاراً في السودان الغربي نجد ثلاث طرق: القادرية والتجانية، والسنوسية[5].

---

1 – عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج2، ط1، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق: دار البلخي، 2004، ص225.

2 – عبد الكريم بوصفصاف، "التصوف مفاهيمه وأبعاده"، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، م.د11، نوفمبر2008، جامعة أحمد دراية أدرار، ص4.

3 – آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، القاهرة:د.الكتاب المصري، 2014، ص63.

4 – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، القاهرة: دار الثقافة ن ت ، ص26.

5 – أحمد شلبي، المرجع السابق، ص210.

وقد مرّ التصوف في مناطق السودان الغربي بعدة مراحل لاسيما في الفترة الممتدة بين القرنين 16 و19م، حيث اتسم في المرحلة الأولى بإقبال رجال الصوفية على تعليم العامة أمور الدين كالقرآن والفقه والأدعية والأذكار، ورغم افتقاد تلك الطرق للتنظيم في هذه المرحلة إلاّ أنها كانت تمثل عصر قوتها وازدهارها، لأنها كانت تقتصر على العلاقة الوطيدة بين الشيخ وتلاميذه.[1]

أما المرحلة الثانية نظراً لاتساع الرقعة الإسلامية وانتشار نطاق التصوف وتطور نظام التدريس لاسيما في المجال الروحي، فقد ازدادت قوةً واتسمت خلال هذه المرحلة بمقاومة شيوخها وتصديهم للظاهرة الاستعمارية التي بدأت تهدد أقطار القارة الإفريقية ابتداءً من القرن16م.[2]

2 ـ1 . الطريقة القادرية، النشأة والانتشار: تُعدُّ الطريقة القادرية إحدى أشهر وأقدم الطرق الصوفية في العالم الاسلامي والتي بلغ مداها نطاقاً واسعاً، امتد من المشرق نحو المغرب وصولاً إلى إفريقيا جنوب الصحراء، حيث لعبت أدواراً حضارية مشرّفة دعوية تعليمية وإصلاحية جهادية.

2 ـ 1.أ. نشأة الطريقة القادرية: يعود تاريخ ظهور الطريقة القادرية إلى القرن5هـ/11م، تنسب إلى الشيخ محمد محي الدين عبد القادر بن أبي صالح، المولود في مارس 471هـ/1077م بمدينة جيلان الفارسية، انتقل إلى بغداد عام488هـ/1095م ليواصل تعليمه، فدرس المذهب الحنبلي وتفقه فيه حتى أصبح عالماً، وقد بنى لنفسه مدرسة 528هـ/1135م[3]، واشتهر بعلمه وورعه وتقواه، وعندما تصوَّف لبس جُبة صوف ومشى حافياً، وتدرج في التصوُّف إلى أن لُقب بقطب الأقطاب[4] و"سلطان

1 – محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين 12-13هـ/ 18-19م، ج1، الجزائر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ص177.

2 – المرجع نفسه، ص177.

3 – نور الدين طوابة، "دور الطرق الصوفية في الدعوة، الشيخ عبد القادر الجيلاني نموذجاً"، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، م.د11، نوفمبر2008، جامعة أحمد دراية أدرار، ص482.

4 – **القطب**: هو وزعيم أعلى درجات التصوف تعني الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى، من العالم في كل زمان، وهو رأس العارفين، لا يساويه أحد في مقامه حتى يموت فيخلفه آخر، وذلك هو معنى الإمام المعصوم عند الرافضة. – عبدالرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال شاهين، ط1، القاهرة: دار المنار، 1992، ص162، وعبدالكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص13.

الصالحين" و"غوث الإسلام"، كان زاهداً ناسكاً متواضعاً، قال عنه الإمام الشعراني "كانت طريقته التوحيد وصفاً وكماً وحالاً وتحقيقاً للشرع ظاهراً وباطناً"[1].

توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة561ه/1165م مخلفاً تراثاً علمياً وروحياً تمثل في أوراده ومؤلفاته التي تؤسس للطريقة القادرية نذكر منها: أوراد الجيلاني، تحفة المتقين وسبيل العارفين، الحزب الكبير، الرسالة الغوثية، سر الأسرار في التصوف[2].

2 ـ1.ب. أوراد الطريقة القادرية: كغيرها من الطرق الصوفية، تضمنت الطريقة القادرية مجموعة من الأذكار والأوراد، على الأتباع الالتزام بها ووفق شروط معينة وهي كالتالي[3]:

– الحسبلة: "حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل" تكرر مائتي مرة.– الاستغفار: " استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود" مائتي مرة

– الهيللة: "لا إله إلاّ الله" مائتي مرة. – التصلية: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يَأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً" مئة مرة.

يُضاف إلى ذلك أداء ركعات معينة يقرأ بعدها آيات محددة من القرآن، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم، ليُختم الوِرد بدعاء عام يُخَصُّ في نهايته شيخ الطريقة القادرية.[4]

2. 1.جـ. انتشار الطريقة القادرية في غرب إفريقيا: عرفت الطريقة بعد وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني انتشاراً واسعاً في مختلف أنحاء العالم، بفضل بجهود أبنائه وتلامذته إلى أن وصلت إلى بلاد المغرب الاسلامي، بفضل نجلي الشيخ عبد العزيز وإبراهيم، حيث تشير المصادر إلى أنهما هاجرا إلى الأندلس ثم فاس وأسهما في تأسيس الزوايا في بلاد المغرب من خلال التنقل بين حواضرها مثل "زواية المنعة" بالأوراس، و"زاوية القيطنة" بمعسكر وأخرى في بجاية والميلية والكاف وتوزر بتونس.[5]

---

1 – عبد الكريم بوصفصاف، نفس المرجع، ص13.

2 – نور الدين طوابة، المرجع السابق، ص483.

3 – ينظر الورد القادري، الملحق 03، ص ص68، 71.

4 – محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص185.

5 – عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص14. **ينظر** أيضاً: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص36.

كما انتشرت الطريقة القادرية من خلال الشيخ أبي مدين الغوث[1] الذي كان قد تلقَّى مبادئ الطريقة وأورادها من الشيخ عبد القادر الجيلاني بشكل مباشر بعد لقائهما بجبل عرفة عام حجهما (594هـ/1197م)[2].

وتذكر المصادر أن الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي" هو أول من نقل الطريقة القادرية إلى منطقتي توات[3] والسودان الغربي[4]، وهو الذي تعددت مشارِبُه ومناهِلهُ في تلقّيه السند الصوفي القادري من أقطاب ومشايخ التصوف في عصره آنذاك: أبي مدين الغوث والإمام جلال الدين السيوطي[5] والشيخ عبد الرحمن الثعالبي[6].

وقد كان من تلاميذ الشيخ المغيلي "الشيخ اعمر الشيخ" الذي لازمة في حِلِّه و تِرحالِه خلال جولاته الدعوية لنشر الإسلام والإصلاح، فقد رافقه في رحلته إلى المشرق لأداء مناسك الحج، حيث تذكر المصادر أنهما التقيا بالشيخ السيوطي ومنحهما الورد القادري وأذن لهما بنشر الطريقة القادرية في بلادهما.[7] وبذلك يكون عمر الشيخ من نقل الطريقة إلى قبيلته كُنتة.

---

1 – **أبو مدين شعيب "الغوث"** (1126-1197م) فقيه وشاعر ولد بإشبيلية درس بفاس وذاعت شهرته بمراكش، انتقل إلى بجاية، وقد صار من أشهر الصوفيين في القرن12ه توفي قرب تلمسان. **ينظر**: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص342.

2 – آدم الألوري: المرجع السابق، ص63.

3 – إدريس بن خويا، "واقع الطرق الصوفية بإقليم توات"، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، م.د11، نوفمبر2008، جامعة أحمد دراية أدرار، ص469.

4 – آدم الألوري، نفس المرجع، ص63.

5 – **جلال الدين السيوطي**(845-911هـ): ولد بمصر وطلب العلم بالحجاز وغيرها ثم عاد لمصر ودرّس بها، ترك ما يزيد عن 600 مؤلف في شتى الفنون منها كتاب "الإتقان في علوم القرآن". **ينظر**– آدم الألوري، نفس المرجع، ص127.

6 – **الثعالبي** هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف(1384-1470م): ولد بناحية وادي يسر، رحل في طلب العلم إلى بجاية ثم تونس ومصر، بعد عودته تولى منصب القضاء قبل أن يتفرغ للتصوف والزهد، ألّف في التصوُّف والتفسير"الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، ومن أشهر تلاميذه الشيخ المغيلي الذي أخذ عنه العلم والتصوف ولقنه الورد القادري. **ينظر**: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص ص327،326.

7 – محمد نعايم والسعدية أوتبغزيت، "الشيخ المختار الكنتي– حياته وتصوفه"، مجلة دعوة الحق، ع415، فبراير2016م، [على الخط]، متاح على https://www.Fm6oa.org، تاريخ الاطلاع: 2020/05/22، سا01:24.

كما أن الإمام المغيلي ساهم بدوره في نقل تعاليم الطريقة القادرية من خلال زياراته وتنقلاته إلى مدن وحواضر السودان الغربي[1]، حيث زار كشن وكانو ودرّس في أهير قبل وصوله إلى بلاد الهوسا حيث استقر بـ"تغزة" كما تنقل بين كاتِسنا وفولتا العليا وغانا وغاو عاصمة السنغاي، ليختِم رحلته الطويلة – التي تجاوزت العشرين سنة – بالتوجه إلى البقاع المقدسة في 1499م، قبل عودته لتوات عام 910هـ/1503م[2].

بينما تُشير مصادر أخرى إلى أن الطريقة القادرية عرفت طريقها إلى قبيلة كُنتة في عهد الشيخ محمد الكنتي، الذي أخذ ورده عن أبي العباس السبتي، وترسّخت أكثر في عهد ابنه أحمد البكاي[3] الذي أخذها عن المغيلي[4]، وبذلك يتضح أن الطريقة القادرية انتشرت في مناطق السودان الغربي عبر طريقين، القاسم المشترك فيهما بينها قبيلة كُنتة والشيخ بن عبد الكريم المغيلي.

كان لقبيلة كُنتة وشيوخها الفضل في انتشار الطريقة القادرية ومدّ نفوذها في إقليم الأزواد والسودان الغربي عموماً، من خلال إقامة الزوايا والمراكز العلمية وتنقلات الشيوخ والفقهاء، خاصة الشيخ سيدي المختار الكُنتي[5]، الذي اشتهر بِعلمِهِ وكثرة مؤلفاته في علوم الشريعة والتصوُّف، إذ يُعتبر الشيخ المجدد للطريقة القادرية، ذلك لأنه أضفى عليها الطابع الإفريقي، وقد اعترف له جميع

1 – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص39.

2 – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص ص295، 296.

3 – **أحمد البكاي** (1803-1865م): هو نجل سيدي محمد الكنتي، تولّى قيادة الكُنتيين،كان رجل عِلمٍ وسيف اشتهر بالتصوف ومواجهته للتجانيين. وقد سمي بهذا الاسم تخليدا لذكرى جدهم الأكبر الشيخ أحمد البكاي نزيل ولاته. **ينظر**: محمد الصالح حوتية، المرجع نفسه، ص293، و أجه ولد محمد "دور القادرية الكنتية في التبادل الثقافي بين بلاد شنقيط وبلاد المغرب خلال القرنين 18ـ19م"، مقال بمجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشط، موريتانيا، ص10.

4 – قحام عمار، بن شعبان سلمى، الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية بين ق 15-19م، مذكرة ماستر، إشراف: خالدي مسعود، جامعة قالمة، 2016-2017، ص48.

5 – **المختار الكنتي**: (1729-1811م) ولد في أزواد، اشتهر بالزهد والورع وكثرة قصائده ومؤلفاته في التصوف والتفسير. – البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد الكتاني، ط1، بيروت: د. الغرب، 1981، ص152.

القادريين في الصحراء بالمشيخة[1] نظير جهوده في خدمة الطريقة ونشر الإسلام من خلال تشييد المدارس والإنفاق على الطلبة والمعلمين.

وكان الشيخ المختار قد اتصل سنده الصوفي بشيوخ ارتبطت أسماؤهم بتاريخ التصوُّف بالغرب الاسلامي، حيث أخذ الوِرد القادري عن عمر الشيخ الكنتي عن محمد بن عبد الكريم المغيلي. وفيما يلي نورد السند الصوفي للشيخ المختار الكنتي:

> "أخذ عن شيخه علي بن النجيب التكروري، عن شيخه محمد الأمين بن عمر ذي النقاب، عن شيخه أحمد الخليفة بن عمر الرقاد، عن شيخه أحمد الفيرم عن شيخه سيدي اعمر الشيخ، عن شيخه محمد بن عبد الكريم المغيلي، عن شيخه عبد الرحمن السيوطي، عن شيخه عبد الرحمن الثعالبي، عن شيخه أبي بكر بن العربي، عن شيخه محمد بن أبي بكر التجيبي، شيخه أبي موسى ناصر الدين المشدالي، عن شيخه أبي حامد الغزالي، عن شيخه أبي الحسن الشاذلي، عن شيخه عبد السلام بن مشيش، عن شيخه محي الدين بن عربي الحاتمي، عن شيخه صفاء الدين بن نجيب السهروردي، عن شيخه علي بن هيثا، عن شيخه عبد القادر الجيلاني"[2]

وقد بلغت الطريقة أوجَّ عطائها على يد الشيخ المختار، لدرجة أنها نُسبت إليه اسمياً وأصبحت تعرفُ "بالمختارية". وبذلك انتشرت القادرية في نطاقي الصحراء والسودان الغربي، حيث حَظِيَ الشيخ المختار الكبير بمبايعة أمراء سوكوتو، الشيخ عثمان بن فودي وأخيه عبد الله وأبنه محمد بيلو، وأمراء برنو وجميع قبائل الفلان والبمبارا[3] والسنغاي والماندي وجميع القبائل الواقعة

---

1 – **الشيخ**: في المصطلح الصوفي يعني الإنسان الكامل في علم الشريعة والطريقة الحقيقية، البالغ حد التكميل فيها, لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفته بذواتها، وقدرته على شفائها، والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها. **ينظر**: اصطلاحات الصوفية، تح: محمد كمال إبراهيم، (د.ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981،ص172.

2 – محمد بن المختار الكنتي، الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، ج1، تح: شفيق آرفاك، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا، المغرب: كلية الآداب ج ، 1992ص ص54-137. **نقلاً عن**: محمد نعايم، المرجع السابق. (د.ص)

3 – **البامبارة**: تشمل عدداً من القبائل الزنجية التي تقطن منطقة الغرب الأفريقي وهم يعيشون في قرى صغيرة، بحيث تتألف القرية من أسرة واحدة، وكانت منازلهم عبارة عن أكواخ، يترأس كل جماعة شخص يتولى جميع السلطات، بل ويمثل سيد الأرض، وينتخب من بين أفراد القبيلة. – فيج.جي.دي، المرجع السابق، ص69.

في المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن توات شمالاً إلى ما وراء نهري السنغال والنيجر جنوباً، وقد امتد نفوذه وسط الطوارق وموريتانيا وغيرها.[1]

كما كان لابنه محمد الخليفة وحفيده المختار الصغير من بعده، الفضل في توسيع نطاق الطريقة القادرية وترسيخ أسسها في غرب إفريقيا، استكمالاً لمشروع أسلافهم المتمثل في نشر الإسلام والمحافظة عليه بالمنطقة.

أسس الشيخ أحمد البكاي بدوره فرعاً للطريقة القادرية، اشتهر بالبكَّائية. وقد انتشرت زواياها في أغلب مناطق الصحراء والسودان الغربي، حتى لا تكاد تمرُّ بقرية في تلك المناطق إلاّ وتجد فيها زاوية قادرية بإحدى فروعها الثلاث بكائية أو مختارية أو كنتية[2].

ولعل مما ساعد في انتشار الطريقة القادرية أيضاً، خلوها من التعقيد وانفتاحها على الطرق الصوفية الأخرى، وفي هذا الصدد يقول الشيخ المختار"فالأوراد وإن اختلفت ألفاظها فمَورِدها واحد وهو التقرب إلى الله تعالى ومعرفة جلالاته وكبريائه والتوكل عليه"[3]

وبانتساب آل فودي الشيخ عثمان[4] وابنه؟ وأخيه؟ وأتباعهم ازدادت قوة الطريقة القادرية في مواجهة الشرك والوثنية، وشهدت نقلة جديدة في تطورها، حيث انتقلت من طور الوعظ والإرشاد إلى مرحلة الجهاد بالسيف، حينما أعلن الشيخ عثمان الحرب إمارة "غوبير" الوثنية ببلاد الهوسا، وقد أسهم نجاحه في تأسيس دولة سوكوتو ذات البعد الصوفي القادري[5].

ومما سبق يمكن القول، أن الطريقة القادرية كان لها الدور البارز في نشر رسالة الإسلام الصحيح بمنطقة السودان الغربي، كما جسدت و وطدة العلائق والصلات بين حواضر شمال

1 – محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص182، 183.

2 – أحمد الحمدي، الريادة العلمية والمشيخة الصوفية بأزواد، ط1، موريتانيا: ط.بريس المغرب، د. قوافل، 2017، ص211.

3 – زهرة مسعودي، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا بين ق(18 و20م)، رسالة ماجستير، إشراف د عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2010/2009، ص ص70، 71.

4 – **عثمان بن فودي** كان متصوفاً على الطريقة القادرية، وسلسلته متصلة بالشيخ محمد المختار الكنتي، وأنشأ فرعاً باسم الطريقة الفودوية، له العديد من المؤلفات والأشعار في الطريقة القادرية منها: السلاسل الذهبية، السلاسل القادرية، تبشير الأمة الحمدية بفضائل الطريقة القادرية. – آدم الألوري، المرجع السابق، ص64، ص135.

5 – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص37، 38.

الصحراء وجنوبها، وذلك بفضل الجهود الصادقة لشيوخ الطريقة على غرار الكنتيين والشيخ المغيلي وآل فودي وغيرهم.

2 ـ 2. الطريقة التجانية، النشأة والانتشار: مع نهاية القرن12هـ/18م شهدت منطقة شمال إفريقيا ميلاد طريقة صوفية جديدة، أضيفت إلى الطرق الصوفية الأخرى التي كانت منتشرة آنذاك؛ إنها الطريقة التيجانية التي ظهرت في ظروف صعبة كان أبرزها توتر العلاقات بين السلطة العثمانية والطرق الصوفية لحد القطيعة وإعلان الحرب[1]. الأمر الذي أرغم الشيخ أحمد التجاني على الهجرة فكان ذلك سبباً في انتشارها الطريقة من شمال إفريقيا إلى وغرب إفريقيا، لتجد في هذا الأخير المحضن الثاني لها، وقد ساهمت حركتي التجارة والتنقلات البشرية في إدخال الطريقة إلى السودان الغربي خاصة إلى السنغال ومنها إلى المناطق الأخرى.

1.2.أ– التعريف بالطريقة التجانية ومؤسسها: التجانية طريقة دينية صوفية، سميَّت بالتجانية[2] نسبة إلى مؤسسها أبي العباس أحمد بن محمد التجاني، وتعد من أحدث الطرق الصوفية والأكثر انتشاراً في إفريقيا والعالم[3].

أما مؤسسها فهو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن مختار الشريف الحسني[4]، ولد بعين ماضي[5] سنة(1150هـ/13-06-1737م)، نشأ وترعرع بمسقط رأسه في وسط عائلة ذات مستوى رفيع من العلوم الدينية والدنيوية أباً عن جد، حفظ القرآن عن ظهر القلب في سن السابعة ثم برع في العلوم الأخرى. جدُّه الثالث محمد بن سالم هو الذي وفد إلى عين ماضي وتزوج من

---

1 – شيخ لعرج، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا، رسالة دكتوراه معهد التاريخ، جامعة احمد بن بلة، وهران، 2016-2017, ص12.

2 – **التيجانية:** لفظة مشتقة من تيجانا أو تيجان، وهي كلمة أمازيغية تطلق على قبيلة بربرية، كانت والدة مؤسس الطريقة تنتمي إليها. – عثمان برايما ياري، المرجع السابق، ص232.

3 – كمال الدين القاشاني، المرجع السابق، ص65.

4 – يرى علي حرزام برادة صاحب جوهر المعاني، أن شيخه أحمد التجاني، لم يُعِر مسألة صِلتهُ بالنسب الشريف، إلى أن أكد لهُ الرسول صلى الله عليه وسلم– يقظة– "أنت ولدي حقاً، ونسبُك إلى الحسن بن علي صحيح" – علي حرازم برادة، جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني،ج1، مصر، ط1، 1318هـ، ص26.

5 – **عين ماضي:** مدينة جزائرية تقع حالياً غرب ولاية الأغواط بحوالي 60كلم، تشتهر بعاصمة التجانيين، بها مقر الزاوية التجانية. [على الخط]، متاح على https://ar.m.wikipedia.org بتاريخ: 2019/04/06 ،سا 00:30.

بني توجين. أمُّه عائشة بنت الولي الصالح سيدي محمد السنوسي التجاني الماضوي، فكانوا أخوالاً للشيخ أحمد التجاني وبالتالي كنيته بالتجاني تعود إلى أخواله[1].

2.2.ب– نشأة الطريقة التجانية وأورادها: بعد حِفظهِ القرآن انهمك أحمد التجاني في طلب العلم، فتتلمذ على يد أكابر المشايخ في العلم والتربية، حيث درس مختصر خليل ومقدمة ابن رشد، والأخضري[2] وغيرها، وعند بلوغه سِن الحادية والعشرين شعر بالميل نحو حياة التصوف، وهو ما دفعه للسفر إلى فاس(1170ه/1757م)، حيث درس أُسس التصوف ومبادئه وانظم إلى تلاثة طرق منها الطيبية والقادرية والناصرية والصديقية، كما أخذ الطريقة الرحمانية أثناء رحلته الحجية (1773-1774م)، وقد حطّ الرحال في تونس لمدة عام كامل دَرس ودرَّسَ خلاله كتاب الحكم لابن عطا الله بجامع الزيتونة.[3] التقى في رحلته هذه بالكثير من مشايخ الطرق الصوفية وأخذ عنهم على غرار الشيخ محمد الخضري بتونس، والشيخ محمد الكردي بمصر الذي أخذ عنه الطريقة الخلواتية، وفي مكة التقى شيخ هندي يدعى أبي العباس أحمد بن عبد الله، وفي المدينة المنورة الشيخ محمد بن عبد الكريم السمّان، قبل عودته وحطِّه الرحال بتلمسان 1774، التي أقام بها ثلاث سنوات، لينتقل بعدها إلى فاس حيث التقى لأول مرة بالفقيه "علي حرازم برادة"[4] الذي سيحظى بمرافقته وخلافته[5].

بعد هذه الرحلة والتأثر بمشايخ الطرقية، بدأ النبوغ الصوفي للشيخ أحمد التجاني، وظهرت الإرهاصات الأولى للفتح في سن العشرين برؤيته للعديد من المبشرات، كان أشرفها رؤيته للحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ثم جاءه "الفتح الأكبر" في سن الخامسة والأربعين،

1 – علي حرازم برادة، المرجع السابق، ص ص19...28.

2 - شيخ لعرج: المرجع السابق، ص12.

3 – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص ص61،62. ينظر أيضاً:

4 – **علي حرازم برادة:** (ت1218ه/1803م) فقيه فاسي أقرب تلاميذ ومريدي الشيخ أحمد التجاني، أصبح أحد شيوخ وخلفاء الطريقة التجانية، قال عنه الشيخ أحمد "ماخلفت أحداً سوى سيدي الحاج علي حرازم، أمرني صلى الله عليه وسلم بذلك فخلفته". كما أمره الشيخ بكتابة جواهر المعاني –من إملائه– أهم مصادر التجانية. – أحمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي، ج1، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1421ه/2000م، ص ص199، 360.

5 – نفسه، ص ص64 ،68.

وكان ذلك عام 1782م في قرية "أبي سمغون"[1] وذلك برؤيته للرسول صلى الله عيه وسلم يقظةً لا مناماً، وأخبره بعلوَّ مقامهِ وأمرهُ بترك الطرق الأخرى التي أخذها من قبل، ولقّنهُ الوِرد الذي يجب أن يلتزم به في طريقته الجديدة، وأمره بتلقينه الناس. بعد ذلك عاد إلى مسقط رأسه بعين ماضي وأتخذها مقراً رئيسياً لطريقته الجديدة[2].

وقد ورد عن الشيخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لقّنَهُ الوِردَ[3] على مرحلتين:

الأولى سنة 1782م كلّفه بالاستغفار مائة مرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة، مع استحسان التصلية على النبي بصيغة صلاة الفاتح[4].

وقد ورد في كتاب جوهرة المعاني لتلميذه العربي علي حرازم برادة مايلي:

> " أما أوراده –رضي الله عنه– الذي يلقن لكافة الخلق الذي رتبه له سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم هو استغفر الله مائة مرة والصلاة على رسوا الله صلى الله عليه وسلم بأي صيغة كانت مائة مرة ثم الهيللة مائة مرة، وهذه الأذكار بعينها هي التي رتب له الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره بتلقينها لكل من طلبه من المسلمين على أية حالة كان كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثى طائعاً أو عاصياً لا يمنعه من أحد طلبه منه، وكون الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق أفضل وأكمل لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم الذي لا يقدر قدره إلا الذي امتن به من فيض فضله العميم"[5]

---

1 – **بوسمغون**: مدينة تابعة لولاية البيض حالياً، تشترك في الحدود الغربية مع ولاية النعامة، تشتهر بمعالمها التاريخية وقصورها الأثرية، كما اشتهرت عند التجانيين بحادثة "الفتح الأعظم" حيث مكث بها سبد أحمد التجاني (1781–798) فكانت نقطة انطلاق دعوته. [على الخط]، متاح على .www.wilaya-elbayadh.go بتاريخ: 2019/04/06، سا 01.00.

2 – شيخ لعرج: المرجع السابق، ص ص14،15.

3 – **ينظر**: الورد التيجاني، ملحق5، ص73.

4 – **صلاة الفاتح**: صيغتها "اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم" نفس المرجع. ص16.

5 – علي حرازم برادة، المصدر السابق، ص85.

أما المرحلة الثانية، فكانت سنة 1786م، حينما زاده الورد اللازم "لا إله إلاّ الله" مائة مرة. على أن تؤدى هذه الأذكار بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى، وبعد العصر إلى صلاة العشاء.

هذا بالإضافة إلى الورد اليومي هناك ما يُسمى بالوظيفة، تقرأ في اليوم مرة في الصباح أو المساء وصيغتها كالآتي: – الاستغفار بأية صيغة 100مرة، أو بصيغة (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم) 30 مرة – صلاة الفاتح 50 مرة – الهيللة: 100 مرة – جوهرة الكمال11مرة. وهي تصليةٌ مطلعها " اللهم صلِّ على عين الرحمة الربانية... صلاة تُعرِّفُنا بها أياه"، ويشترط في قراءتها الطهارة المائية لأن النبي صلى الله عليه وسلّم حسب اعتقاد التجانيين يحضر عند قراءتها، ويستحسن قراتها بشكل جماعي[1].

يُضافُ إلى كل تلك الأوراد والوظائف اليومية، ذِكرُ الجُمعةِ وأوراد اختيارية أخرى للخاصة.

3.2.جـ – انتشارها الطريقة التجانية في غرب إفريقيا: بعد انتشارها الواسع في الجزائر وشمال إفريقيا والصحراء الكبرى، امتدت الطريقة التجانية نحو السودان الغربي وذلك من خلال الدور الذي لعبته قبيلة "إداو علي"، فقد كان أوّل من أدخل الطريقة إلى هذه المنطقة، هو الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن الحبيب الشنقيطي[2]، حيث تذكر المصادر أن بعد عودته من البقاع المقدسة التقى بالشيخ التجاني في فاس سنة1801م وخلال إقامته بالزاوية لقنه الأوراد التجانية وعينه مقدماً للطريقة في موريتانيا والسودان الغربي وقال له "لا تظهر نفسك حتى يكون الله تعالى هو الذي يظهرك"[3].

---

1 – شيخ لعرج، نفس المرجع، ص17.

2 – **محمد الحافظ العلوي الشنقيطي**: (ت1254هـ/1838م) هو أبو عبد الله محمد بن المختار العلوي، نسبة لقبيلة ذوي علي من قبائل شنقيط، فقيه متصوف التقى بالحاج علي برادة بالديار المقدسة، ثم تنقل إلى فاس لملاقاة الشيخ أحمد التجاني فأخذ عنه أوراد الطريقة التجانية وأسرارها، وقد عينه نائباً عنه في أصقاع الصحراء لما رأى فيه من الهمة وعلامات الفتح. – أحمد الأزمي، المرجع السابق، ص ص 451، 473.

3 – عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوادي, الجزائر: الوليد للنشر, ص244.

بعد وفاة الشيخ أحمد التجاني1815م وفي عهد خلفائه[1] تأسست الكثير من الزوايا[2] في مناطق إستراتيجية، أصبحت تؤّمن الطريق للقوافل التجارية العابرة للصحراء وطريق الحج[3]. حيث أدى التجار التِجانيون ضمن تلك القوافل النشطة بىن أقطار وحواضر شمال الصحراء وجنوبها دوراً باروأً في نقل الطريقة، فكلماكثر عدد الأتباع من التجار زاد نفوذ الطريقة في تلك المناطق[4].

وصل نفوذ الطريقة خلال هذه الفترة إلى السنغال بفعل التواصل والاحتكاك المباشر بين الموريتانيين والسنغالين، وكان من أبرز من نقل تعاليم التجانية إلى هذه المناطق مولود فال- أول من أخذ عن محمد الحافظ-، وعبد الكريم الناقل الفوتاجالوني، الذي لقنها بدوره لإلى الحاج عُمر الفوتي[5] الذي يُعتبر أعظم من نشر الطريقة التجانية في غرب إفريقيا، وكان قد تلقاها أول الأمر وبشكل مباشر من الشيخ علي حرازم، التلميذ الأكبر والساعد الأيمن للشيخ أحمد التيجاني[6].

وقد حَظي الحاج عمر بلقاءٍ جمعه بخليفة الشيخ محمد الغالي[7] في الحرمين، أثناء أداءه مناسك الحج حوالي 1825 حيث صاحبه ثلاث سنوات، تلقى خلالها أسرار الطريقة وأورادها،

1 – **الحاج علي التماسيني**: (**ت**1260هـ) القطب الشهير حامل راية الطريقة التجانية ووارث أسرارها، هو من تولى الخلافة بوصية الشيخ له بإدارة شؤون الزاوية، بينما أوصى الشيخ أحمد التيجاني بكفالة ولديه (محمد لكبير ومحمد الصغير) إلى محمد بن أحمد التونسي، وبوفاة هذا الأخير تولى الحاج علي رعايتهما والزاوية. **ينظر**: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954م، ج4، بيروت: دار المغرب الاسلامي، 1998م، ص194.

2 – **الزوايا**: مفردها زاوية هي عبارة عن بناء يتكون من عدة مرافق، وهي بمثابة مؤسسات دينية تربوية وروحية، تقدم خدماتها الخيرية التعليمية والاجتماعية للطلبة والمريدين وعابري السبيل. **أنظر**: زهرة مسعودي، المرجع السابق، ص14.

3 – سالمي مختار, تحقيق مخطوط (رسالة بلوغ الأماني في مناقب أحمد التجاني لأحمد أديب المكي) ، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2013/2012، ص58.

4 – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص195.

5 – **عمر الفوتي**: (1797-1864م) ولد عمر الفوتي التكروري بقرية حلوار السنغالية، ونشأ نشأة دينية وعلمية على يد والده الشيخ سعيد، حفظ القرآن ودرس العربية والتفسير وعلوم أخرى، حصل على المشيخة التجانية 1833 قاد الجهاد ضد الإمارات الوثنية وأخضعها 1858م. **ينظر**: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص137، 138.

6 – آدم الألوري: المرجع السابق، ص65.

7 – **محمد الغالي بوطالب**: (ت1244) فقيه مغربي لازم الشيخ أحمد التجاني ثلاثين سنة، قال عنه "بلغ مرتبة الكمال في فهم مقاصد الطريقة"، أحد العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر –في المعتقد التجاني- ، وُصِف بأحد أركان الطريقة التجانية، تخرج على يده فطاحل الشيوخ ممن انتشرت على أيديهم الطريقة مشرقاً ومغرباً، وعنه انتقلت إلى السوادين. **ينظر**: أحمد الأزمي، المرجع السابق، ص ص216، 368.

وعينه خليفةً على إفريقيا قبل عودته إليها داعياً ومرشداً، فألتف حوله عدد كثير من الأتباع، وقاد حروباً ضد الوثنين والمسيحيين وبعد استشهاده وسقوط دولته (1794-1864)، واصل نهجه الحاج مالك سِّي وابراهيم نياس، الذان تمكنا من نشر الطريقة سليماً في السنغال وشمال نيجيريا وغامبيا, حيث أسس الحاج مالك سي سنة1902م زاوية "تيواوين" – العاصمة الروحية للطريقة في غرب إفريقيا–. وازداد انتشار الطريقة في السنغال وامتد نفوذها إلى مالي وغينيا والنيجر ونيجيريا وغامبيا, وقد بلغ عدد زواياها[1] في السنغال مثلاً ما يزيد عن100 زاوية, بالإضافة إلى المعاهد العلمية التابعة للطريقة، كمعهد كولخ الذي أسسه الشيخ إبراهيم نياس[2].

ومن بين الشخصيات الفاعلة الأخرى التي ساهمت في نشر الطريقة في المنطقة الشيخ محمد المختار بن احمد بيللي في الغابون وغانا والطوغو وسيراليون وساحل العاج... والشيخ أحمد باه الفولاني في شمال نيجيريا والشيخ أبوبكر ميغا والشيخ عبد الله دوكوري في بوركينافاسو والشيخ علي جاتي في السنغال[3].

ولعلَّ سر انتشار الطريقة التجانية يرجع إلى التنظيم الدقيق الذي تميزت به والتزامها بالمنهج الصوفي، إضافة إلى تنوع التركيبة الاجتماعية لأتباعها من فقهاء وفقراء عوام، والعلاقات الروحية والأخوية فيما بينهم والقبائل المجاورة، ودورهم في الدعوة والإرشاد والمعاملات والمصاهرات وتأسيس الزوايا، بالإضافة إلى سهولة تعاليم الطريقة وملائمتها لمختلف التطورات، فهي تقوم على العمل والموازنة بين متطلبات الحياة الدنيا ومقتضيات الآخرة، كما أنها لا تدعو لحياة العزلة والتقشف، بقدر ما تشجع على الكسب والعيش الرغيد، دون أن نغفل دورها الجهادي في الدفاع عن المنطقة ومقارعتها للاستعمار الأوروبي، مما أكسبها سُمعة ومكانة محترمة زادت من انتشارها في الأوساط الإفريقية عامة وفي منطقة السودان الغربي بشكل خاص.[4]

---

1 – **ينظر**: الملحق6: أهم مناطق انتشار التيجانية في غرب إفريقيا، ص74.

2 – غانمي عمرو سعيد، الطريقة التجانية ودورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مجلة جامعة إفريقيا العالمية, وزارة الإرشاد والأوقاف الليبية 2006، ص ص 202، 203.

3 – نفسه، ص 204.

4 – محمد علي عفين، المرجع السابق، ص1065.

ومن هنا يمكن القول أن الطريقة التجانية وجدت في السودان الغربي المحضن الثاني للطريقة, حيث استطاعت أن تلعب أدواراً مشرفة في المجالين الروحي والسياسي، واكتسبت مكانة في نفوس الناس شعوباً وحكاماً، وانضوى تحت لوائها دويلات وحكومات، وبذلك نجحت في تحقيق ما عجزت عن تحقيقه في مهدها الأول، من حيث الأتباع والنفوذ ورفع راية الجهاد ضد الشرك والوثنية تارة وضد الاستعمار الفرنسي تارة أخرى.

وإذا كانت بعض الطرق الصوفية قد خرجت اليوم عن مقصدها الأول وانحرفت عن المسار الذي رُسم لها، حينما تسربت إليها البدع والأفكار الدخيلة، أو من خلال بعض المواقف السلبية حيال أمتها ومبادئها، فإنها قد أدت خدماتها الجليلة للدعوة الإسلامية والمسلمين، خصوصاً في غرب إفريقيا، حتى لا يبق مجالاً لنكران فضلها في نشر الإسلام[1]

ولعل الآثار الحضارية الراسخة في الذاكرة الجماعية والمباني العمرانية الشامخة في أقطار السودان الغربي إلى يومنا، هذا لخير شاهدٍ على المواقف البطولية لزعماء تلك الطرق وزواياها في رفع راية الجهاد في مواجهة الوثنية والاستعمار، وتحرير تلك الشعوب من ظلمات الجهل والضلال وظُلم الاستعمار وعبوديته.

1 – آدم الألوري: المرجع السابق، ص63.

الفصل الثاني

الفصل الثاني :

المواقف الجهادية للطريقتين في السودان الغربي

1- المبحث الأول: الدور الجهادي للطريقتين

1 ـ 1 . الحركات الجهادية القادرية

1.1.أ . حركة الشيخ عثمان بن فودي

1.1.ب . حركة أحمدو لوبو الماسيني

1.1.جـ . القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا

1. 2.التيجانية والجهاد

1 .2 .أ ـ حركة الحاج عمر الفوتي

1 .2.ب . التيجانية بعد الحركة العمرية

2- المبحث الثاني: الخلاف والتوافق بين الطريقتين

2 .1 الخلاف الفكري والعسكري

2 .1.أ . الخلاف الفكري

2 .1.ب . الخلاف العسكري

2.2 . أوجه التوافق بين الطريقتين

1- الدور الجهادي للطريقتين:

لعل أهم ما ميّز القرن التاسع عشر في منطقة السودان الغربي، هو ظهور فكرة الجهاد لنشر الإسلام وتصحيح العقيدة التي اختلطت في كثير من المناطق بالطقوس الوثنية، وقد امتدت هذه الفكرة في أماكن متعددة وفي أوقات مختلفة، وتطورت تطوراً كبيراً. ولم تعد هذه الحركة قاصرة على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين فحسب، وإنما أصبح روّادها يسعُون للتّصدي للأطماع الأوروبية الاستعمارية، وتأسيس ممالك إسلامية كبيرة مثل إمبراطورية الفولاني والتكرور[1].

- **أسباب ظهور الفكر الجهادي:** تعددت دوافع ظهور الفكر الجهادي في غرب إفريقيا ويمكن تلخيصها فيما يلي:

1. اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية، فانتشرت عبادة الموتى وتقديسهم حتى بين المسلمين.
2. انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي مما أدى إلى إبراز فكرة الجهاد.
3. اِنتشار الطرق الصوفية مثل القادرية والتيجانية والسنوسية، والتي حرص أتباعها على نشر الإسلام بين الوثنيين، كما نادوا بعد ذلك باستخدام القوة ضد الغزو الأوربي، وبالتالي تطور فكرة الجهاد، فبعد أن كانت ضد الوثنيين شملت الأوربيين أيضاً.

انتشار الطرق الصوفية يُعتبر خطراً على مصالح الأوروبيين، إذ يرى بعض الكتاب الغربيين، إن الإسلام مدين في كل فتوحاته السلمية وانتشاره في الأقطار السودانية لجماعة الصوفية، فمشايخ الطرق هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الإسلام الحية، ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على مصالح الأوروبيين[2].

1.1 . الحركات الجهادية القادرية:

انتشرت الطريقة القادرية في غرب أفريقيا انتشارًا واسعًا كونها أول طريقة وصلت هذه المنطقة. هذا الأمر يتجلى بوضوح في النشاط الجهادي والدعوي لمريديها، والذي كان بارزًا في كل جهات المنطقة، من بلاد شنقيط شمالًا إلى نيجيريا جنوبًا، ومن المحيط الأطلسي غربًا إلى مالي شرقًا.

1- إلهام محمد علي هني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850ـ 1914)،ط:1408هـ/1988م، الرياض: دار المريخ للنشر، ص35 ،36.

2 – علي بدوي علي سليمان، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903–1960)، رسالة ماجيستر، أشراف: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، ماهر عطية شعبان، جامعة القاهرة، 2003. ص23.

1.1.أ- حركة الشيخ عثمان بن فودي الجهادية: الشيخ عثمان بن فودي"الفقيه"، كانت ولادته عام (1168هـ، 1754م) في قرية "مرآتا"التابعة لإمارة"غوبير" في ولاية سوكوتو بنيجيريا الحالية[1]، نشأ في أسرة علمية، وفتح عينيه على العلم منذ نعومة أظفاره، تعلم على يد والديه"محمد وحواء" وجدته "رقية"[2]، ثم أخذ العلم عن فقهاء بلاده، ودرس على علماء زمانه، وتأثر بالشيخ جبريل بن عمر[3]، الذي لازمه مدة في بلدة "آهير"، واستفاد من منهجه في الدعوة والتغيير.

شاهد الشيخ عثمان ما يسود مجتمعه من فساد ديني وخلقي وسياسي، رغم أن بلاد "الهوسا" قد دخلها الإسلام في وقت مبكر، وعمل بعض سلاطينها على تحكيم الإسلام في شؤون حياتهم المختلفة، إلا أنه ومع مرور الزمن صاحب تيار وثني حركة التحول الواسعة التي شهدتها البلاد إلى الإسلام عبر مراحلها المختلفة، ويؤيد ذلك الشيخ (محمد بلو) إذ يقول:

> "لقد حدثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطن يركبون إليها، ويذبحون إليها، ويرشُّون بالدماء على أبواب قريتهم، ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها، ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية، ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها هم وقراؤهم وسلاطينهم وعامتهم لا يحضرها غيرهم، ويسمُّون ذلك عادة البلد، ويزعمون أن ذلك صدقات يستعينون بها على جلب المصالح ودرء المفاسد، فإذا لم تُفعل تلك العادة بطلت معايشهم، وقلّت أرزاقهم، وضعفت شوكتهم، وتوارثوا هذه العوائد كابرا عن كابر"[4].

قسّم الشيخ عثمان بن فودي – رحمه الله – في كتابه (نور الألباب) سكان بلاد (الهوسا) إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

-القسم الأول: من يعمل أعمال الإسلام، ولا يظهر منه شيء من أعمال الكفر، ولا يسمع منه شيء مما يناقض الإسلام، وأكد صحة عقيدة هذا النوع من الناس.

1- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص168.

2- آدم عبد الله الألوري، المرجع السابق، ص134.

3- **جبريل بن عمر**: شيخ شيوخ زمانه، حج مرتين، من أهم تلامذته الشيخ عثمان وأخوه عبد الله. يقول الشيخ عثمان في مدحه: "إن قيل فيَ بحسن الظن ما قيلا ـــ فموجة أنا من أمواج جبريلا". **انظر**: آدم عبد الله الألوري، المرجع السابق، ص91.
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، مكتبة مدبولي، ط: 1989، ص42.

4- محمد بلو بن عثمان بن فودي، المرجع السابق ، ص34.

-القسم الثاني: مخلط، يعمل أعمال الإسلام، ويظهر أعمال الكفر، يسمع من قوله ما يناقض الإسلام فحكم على هؤلاء بالكفر.

-القسم الثالث: هم الذين لم يشموا رائحة الإسلام فهؤلاء كفار، ولا تجري عليهم أحكام الإسلام.[1]

وقد اتبع الشيخ عثمان بن فودي في محاولته لإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية في هذه البلاد منهجاً علمياً دقيقاً، وذلك بالتركيز على ثلاث مسائل رئيسة:

-الأولى: العناية التامة بتعليم العامة أصول الدين ومسائل التوحيد، وإبعادهم عمّا يناقض هذه الأصول أو ينافي كمالها، فحذّر من عادات جاهلية وممارسات وثنية كالسحر ونحوه.[2]

-الثانية: التحذير من البدع الشيطانية والعادات المخالفة للشرع الإسلامي الحنيف.

-الثالثة: محاربة فساد سلاطين بلاد الهوسا، ورفع الظلم والحيف عن الشعوب المغلوبة.

سعى الشيخ عثمان في سبيل تحقيق هذه القضايا إلى تكوين مجموعة من الأتباع المخلصين -كان معظمهم من غير قبيلته- من أجل نشر أفكاره وآرائه وتعاليمه الإصلاحية ودحض دعاوي المناوئين من علماء السوء[3]. وكان للشيخ مجلسان للعلم: أحدهما للتدريس: يخرج إليه بعد صلاة العصر والعشاء، يدرس التفسير والحديث والفقه والسلوك وسائر فنون العلم. والمجلس الآخر للوعظ والتذكير يخرج له كل ليلة جمعة، ويحضُره خلق كثير، رجالاً ونساءً. كما كان يخرج إلى الآفاق القريبة والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أياماً، ثم يرجع إلى بلده،حتى صار له صيت وشهرة، وصار يقصده الداني والقاصي، وتكونت من المستمعين إليه والحاضرين لمجالسه فئة منتظمة سماها (الجماعة)، وهم الذين صاروا له أنصارا في دعوته الإصلاحية[4].

1- محمد المنصور إبراهيم، تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب للعلامة مجدد الإسلام الشيخ عثمان بن محمد بن فودي، نيجيريا: مركز الصحابة، سكتو، ط01، 1433هـ/2012م، ص13.

2- بوبكي سكينة، الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن19م، مذكرة لنيل الماجستير، إشراف: عبد المجيد بن نعيمة، جامعة وهران، 2010/2009،ص87.

3- آدم عبد الله الألوري، المرجع السابق،ص ص147، 148.

4- نفسه، ص149.

➢ **مراحل حركة الشيخ عثمان بن فودي:** تجدر الإشارة إلى أن الشيخ وجماعته قد اتبعوا في بداية دعوتهم أسلوب الابتعاد عن الاحتكاك بالسلطات السياسية، وعدم الاختلاط بها لكيلا تفرض عليهم هيمنتها وسطوتها السياسية ومنهجها الذي يخالف الشريعة الإسلامية، وحتى لا يدخلوا أيضا في مواجهة مع هذه السلطة يكون ضحيتها الشيخ وجماعته، وحتى يكون الشيخ حراً في دعوته. وقد كان هذا الأمر بمثابة **المرحلة الأولى** من المراحل التي مرت بها دعوة الشيخ عثمان بن فودي، وهي تحديداً ما بين 1785م - 1803م.[1] ومن السمات المميزة لهذه الفترة، تركيز الشيخ عثمان بن فودي على دعوة الناس بكافة طبقاتهم إلى الله، وتعليمهم المبادئ الأساسية للإسلام، ومحو الأمية الدينية، وهذا ما بيَّن إصراره على ضرورة الإصلاح.[2]

هاجر الشيخ عثمان من قرية "طَفل" ونزل بمن معه على حدود بلاد "غوبير"، فتتابعت أمواج الهجرة إلى مكان الشيخ وتضاعف أعدادهم إذ بلغوا عشرة آلاف، مما جعل أهل "غوبير" يقطعون الطريق على المهاجرين وينهبون أموالهم.[3]

ويأتي في سياق هذه المرحلة مطالبة الشيخ عثمان بن فودي لحاكم غوبير"باوا" الالتزام بجملة من الشروط في أول لقاء معه–والذي تم بعد صلاة عيد الأضحى– في1788م وقد تضمنت ما يلي:

1– أن يحترم الحاكم أصحاب العمائم (العلماء).

2– ألا يقف في طريق أي شخص أو جماعة تُريد الاستجابة لدعوته.

3– أن يُطلق سراح المسجونين.

4– أن يمتنع الحاكم عن فرض الضرائب الباهظة على رعاياه.[4]

كان الشيخ يرمي من وراء هذه المطالب إلى أهداف سياسية بعيدة المدى، ولم يكن في استطاعته أن يقوم بأكثر من الدعوة إلى الله –سلمياً– في هذه المرحلة، ثم إن مستوى التفكير والاعتقادات الدينية المخلوطة بالعادات الوثنية الجاهلية لا تسمح له بالخطاب السياسي في تلك الآونة، لأن عامة الناس

1– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص119.

2– إلهام محمد علي هني، المرجع السابق، ص42.

3– آدم عبد الله الألوري، المرجع السابق، ص154.

4– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص121.

تحتاج في تلك الفترة إلى تربية إسلامية صحيحة تبين لهم طبيعة وأركان الدين الإسلامي، ثم إن الدخول في معركة خاسرة مع سلطة"غوبير" القوية وبقية ولايات "الهوسا" تعني انتحار حركة الشيخ عثمان بن فودي قبل نضوج بذرتها، ويعني إخفاقها في الوصول إلى الأهداف السياسية التي رسمت لها من قبل[1].

لما عظُم أمر الشيخ وكثرت جماعته أرسل إليه أمير "غوبير"يستحضره في جمعٍ من العلماء، فأجاب الشيخ عثمان الدعوة، واستغلّها لوعظ الأمير ومطالبته بإقامة العدل بين الرعية وتطبيق أحكام الشريعة، فاستجاب له الأمير، وأدناه وقلَّده منصب الإفتاء، الأمر الذي جعل بعض العلماء يضمرون له العداء والكراهية لما ناله من حظوة ومكانة عند الأمير، لكن الله نصره عليهم وأيده بطائفة من المؤمنين المهتدين فصدّقوه ونصروه[2].

استمر الأمير في إكرام الشيخ، وتزايدت جماعته، وازداد تقديرهم له وطاعتهم إياه، حتى بدأ الأمير يتوجس منه خيفة، فبدأ يغري الشيخ بالمال، ويستهويه بالعطاء، لكن الشيخ أبى أن ينساق وراء ذلك، فحاول اغتيال الشيخ في يوم عيد، بعد أن استدعاه وبعض جماعته إلى قصره، لكن الله كفاهم شره، فنجوا منه سالمين. تصاعد استفزاز الأمير للشيخ وأتباعه مستعملاً معهم العنف المسلح، حيث هاجم جماعة أخيه "عبد الله الفلاني"ـ أحد أتباع الشيخ ـ ونكل بهم، وقتل منهم الكثير، ونهب أموالهم، وهدّد الشيخ بأن يفعل به مثل ذلك. لكن الموت حال بينهما. وبعد وفات الأمير سنة 1794م، ورث عرش الإمارة ابنه "نافاتا"، الذي واصل سيرة أبيه في معاداته للمسلمين في بلاد الهوسة، وأصدر مرسوماً ينص على ما يلي[3]:

1- عدم السماح لأي أحد باعتناق الإسلام إلا من ورثه عن أهله.

2- منع العلماء من الدعوة الإسلامية عدا الشيخ عثمان.

3- عدم السماح لأي شخص بلبس العمامة، ولا تضرب امرأة بخمارها على جيبها.

---

1 ـ بوبكي سكينة،مرجع سابق، ص92.

2- الشيخ عبد الله بن محمد بن فودي: ضياء السياسات وفتاوى النوازل مماهو من فروع الدين من المسائل، تح: د.أحمد محمد الكاني، ط01 ،1988، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ص08.

3- يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص121.

لم يُخفِ"نافانا" عداوته للشيخ بل ذهب إلى حد التفكير في قتله، لكن الله دحض خطته وجعل كيده في نحرِه، فعاجلته منيته،وخلفه ابنه "يونفا"، وكان أشدُّ عِداءً لمنهج الشيخ الدعوي وأكثر كراهية للإصلاح، فأعلن عِداءه السافر للشيخ، وطالبه بالجلاء هو وجماعته[1]،ولم يكتف بهذا فحسب بل ذهب إلى حد قتل عدداً من العلماء والفقهاء والقراء، كما أمر جنوده بحرق المصاحف القرآنية والكتب والألواح،... وعندئذ قرر الشيخ عثمان أن ينتقل إلى الدور الثاني من حركته وهو إعلان الجهاد[2].

➢ **المرحلة الثانية:** (1804م - 1810م) بدأها الشيخ عثمان-رحمه الله-بإصدار وثيقة لأهل السودان، والتي تعتبر إعلاناً رسمياً للجهاد، تضمنت وجوب الهجرة من بلاد الكفر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأتباع الكتاب والسنة، إذ جاء في الوثيقة قوله:

> "فاعلموا يا إخواني أن الأمر بالمعروف واجب إجماعاً، وأن النهي عن المنكر واجب إجماعاً، وأن الهجرة من بلاد الكفر واجبة إجماعاً، وأن موالاة المؤمنين واجبة إجماعاً ...وأن الجهاد واجب إجماعاً، وأن تأمير الأمراء في البلدان واجب إجماعاً، وأن تأمر القضاء واجب إجماعاً، وأن تنفيذهم أحكام الشرع واجب إجماعا..."[3]

بعد إعلان الوثيقة خرج الشيخ مع جماعته من قرية "دغل" إلى قرية "قدو"[4]. وتعتبر هذه الهجرة بداية تأسيس الإمبراطورية الفولانية التي اتخذت من مدينة "سوكوتو" عاصمة لها.[5] واعتبر الشيخ عثمان وأتباعه يوم هجرته من "دغل"،1804/02/12يوم عيد ومناسبة دينية عظيمة، وعلى إثر ذلك توافد المحِبُونَ والمتَحمّسون للإسلام حوله لمؤازرته[6]، وجاءت الفرصة التي كان ينتظرها الجميع من أجل القضاء على الأنظمة الفاسدة في بلاد الهوسة وما جاورها[7]، وطلب من الأمراء المسلمين مساعدته في ذلك، وامتدت هذه المرحلة في الجهاد ومحاربة الكفار إلى عام 1810م[8].

1- إلهام محمد علي هني، المرجع السابق ص43.

2- يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص122.

3- **ينظر**: وثيقة أهل السودان،الملحق8، ص76، 77.

4- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة 1998،ص137.

5- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، الوثائق التاريخية دراسة تحليلية، ط2001، القاهرة: المكتب المصري ت.م، ص189.

6- محمد إبراهيم أبو سليم، بحوث في تاريخ السودان (الأراضي، العلماء، الخلافة، البربر).ط:1، بيروت: دار الجيل 1992م، ص96.

7- بوبكي سكينة، المرجع السابق، ص94.

8- يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص122.

➢ **المرحلة الثالثة** (1810-1817): تعتبر مرحلة توطيد دعائم الدولة الإسلامية الحديثة في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية، وقد أجمل الشيخ عثمان آراءه الاجتهادية حول هذه المسائل في كتبه الثلاثة (إرسال الأمة تيسير الملة، هدية الطلاب، توقيف المسلمين على مذهب المجتهدين)[1]، كما عمل على إنكار فكرة كونه المهدي المنتظر، ونفى أن تكون علامات المهدي متوفرة فيه.[2]

أقام الشيخ عثمان دولة إسلامية عاصمة خلافتها "سُكُوتو"، وأذعنت له باقي إمارات "الهوسا"[3]، بعضها عنوةً وبعضها سلماً، وبقي يحكم بلاد الهوسا إلى غاية وفاته1817م، واستمرت هذه الدولة من بعده مئة عام إلى أن سقطت في أيدي الاحتلال البريطاني سنة 1903م، لتدخل كل نيجيريا تحت وطأة هذا الاحتلال

يُمكن القول بأن الدولة الإسلامية في "سُكُوتو" قد أقامت نظاماً فريداً من نوعه في أفريقيا جنوب الصحراء، صار نموذجاً للحركات الجهادية في المنطقة، مثل حركتي "أحمدو لوبو الماسيني"، وعمر الفوتي.[4]

1.1.**ب- حركة أحمدو لوبو الجهادية:** وُلِد "أحمدو لوبو" المعروف بالماسيني بمنطقة "ماسينا" التي تقع إلى الشمال من مدينة "جني" الحاضرة العلمية المشهورة، التي أكمل فيها تعليمه الديني واللغوي، وعندما عاد إلى "ماسينا" عمِل على تعليم الناس تعاليم الدين الحنيف الصحيحة، ودعاهم إلى نبذِ الخُرافات والتَّخلص من بقايا العادات الوثنية. هذا النشاط جَلبَ له عداوة أمراء البلاد الذين ضيقوا عليه،مما اضطره إلى الهجرة لمكان يسمى "روندي سيرو" غير بعيد عن مدينة "جني"، فاجتمع حوله أنصارٌ كُثر، الأمر الذي شجّعهُ لإعلان الجهاد ضد أمراء "البامبرا" المنحرفين عن الإسلام، كما انتقد بشدة الأشخاص المنتسبين للعلم والعلماء، العازفين عن القيام بدورهم المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر الذي جعل الناس تستمرئ الأباطيل والخرفات.[5]

1- بوبكي سكينة، المرجع السابق، ص96.

2- يحي بوعزيز، نفس المرجع،ص123.

3- ينظر: خريطة إمبراطورية الفولان التي أسسها الحاج عثمان ، ملحق7، ص76.

4- الهادي هارون: "التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 2،2017 جامعة غرداية، ص87.

5- عبد القادر زبايدية، دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، ص89.

بسبب ضعف مكانة الأمراء في قلوب العامة، تمكن "أحمدو لوبو" وبسرعة من التغلب عليهم، وإخضاع مدن"جني" و"ماسينا" و"كارتا"، خاصة وأن "الشيخ عثمان بن فودي" أيَّد حركته الجهادية من خلال الرسائل التي أرسلها إلى المنطقة[1].

في سنة1815 أسس "أحمد لوبو" مدينة "حمد الله "على ضفة نهر النيجر الشرقية، وعقد اجتماعاً موسعاً دعا إليه وجهاء المنطقة من علماء وتجار، وحثهم على رصِّ الصفوف والإتحاد بهدف تأسيس دولة إسلامية عادلة، وقد اتفق المجتمعون على تكوين لجنة من مئة شخصية، تعمل على بناء وتقديم اقتراحات تساهم في بناء الدولة الإسلامية، وقد كان من أبرز اقتراحاتها: تأسيس مجلس شورى من أربعين عالماً يترأسه أكبرهم سناً. وقد وافق "أحمدو لوبو" على جُل الاقتراحات المقدمة له من طرف اللجنة، واقتصر دوره في المجلس على العضوية فقط.[2]

لقد كان لحركة عثمان فودي الإصلاحية وطريقة جهاده الأثر البارز في حياة "أحمدو لوبو"[3]، لذلك اقتفى أثره في التنظيم الإداري، حيث قسّم دولتَهُ إلى خمس ولايات، وعيّن على كل ولاية أمير يساعده رجل علم متفقه في الدين، له سلطة محاكمة الأمير إن أساء التسيير[4]. كما عمل على تثبيت البدو الرُّحل، وشجع على استصلاح الأراضي الزراعية، وإقامة نظام اقتصادي إسلامي، وقد حَظِي التعليم والعلماء والفقهاء بمكانة مرموقة في نظام "أحمدو لوبو"، ورغم انشغاله بأمور الحكم إلا أنه لم يتخلّ عن وظيفة الوعظ والإرشاد، إذ كان يؤم الناس بنفسه يوم الجمعة، ويُلقي الدروس في التفسير والحديث.[5]

أمّا في الجانب العسكري، فقد بنى "أحمدو لوبو" جيشاً قوياً، وجهّزهُ بأسلحة حديثة كان يقتنيها من التجار الأوربيين، وأدخل الأساليب الحديثة في تدريبه، كما ألزم كل شاب بلغ من العمر 20سنة بضرورة التجنيد في الجيش.[6]

1- مهدي رزق الله أحمد، حركة التجار والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وأثارها الحضارية، ط01، 1998م، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص557.

2- عبد القادر زبايدية، المرجع السابق، ص90.

3- محمد فاضل علي باري: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط01،2007م، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 212.

4- عبد القادر زبايدية، المرجع السابق، ص91.

5- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص129.

6- الهادي هارون، المرجع السابق،ص91.

في سنة 1817م سعى الشيخ "أحمدو لوبو" لتوطيد العلاقة مع إمارة "سوكوتو"، فبعث أخويه للسلطان "محمد بيلو" الذي استقبلهما هو وحاشيته بالترحاب، وبفضل علاقات التعاون بينهما انتشر الإسلام وازدهرت الحركة العلمية والتجارية، ودام هذا التواصل إلى غاية 1838م.[1]ولم يعكِّر صفوه إلا الخلاف الفقهي الذي ظهر بين "أحمدو لوبو" وأبناءِه من بعده من جهة، والشيخ "أحمد البكاي" زعيم تمبوكتو من جهة أخرى.[2]

بعد وفاة الشيخ "أحمدو لوبو"سنة 1260هـ/1844م، لم تستمر بعده الإمارة طويلاً، حيث خلفهُ ابنه "أحمدو الثاني" والذي توفي بعد ثمان سنين من الحكم 1852م، ليتولى بعده أخوه "أحمدو الثالث"، وفي ظل حكمه دخلت البلاد في صراع مع قوة أخرى نامية، قادمة من جهة الغرب تمثلت في حركة الشيخ "الحاج عمر الفوتي"، الذي تمكن من القضاء على دولة "ماسينا"، واستولى على عاصمتها "حمد الله" سنة 1862م.[3]

1.1.**جـ.فرنسا والقادرية في موريتانيا:** من خلال الحاكم العام لمستعمرات غرب إفريقيا، "ليون فيدهرب Leonfaidherbe" الذي عُين حاكماً عاماً للسنغال في 1854م[4]، فرضت فرنسا عدة إجراءات إدارية على شيوخ الطرق الصوفية وخاصة القادرية، حيث عَمِلت على انتقاء ودعم جهة معينة من الشيوخ الذين لهم مكانة اجتماعية ونفوذ ووجاهة عند السكان حتى تتمكن من استغلالهم، -بعلم منهم أو بدونه- أصبحوا يخدمون لصالحها، كما تمكنت من إبعاد الشيوخ الذين لم تتأكد من ولائهم لها[5]، وفرضت عليهم عدة إجراءات تتعلق بتنقلاتهم خوفاً من نقل الأخبار وإيصال المعلومات[6]، فالتنقل لم يعد حُراً مباحاً في أي وقت، بل صار مقيداً بالشروط الفرنسية، ولا يُسمح به بدون ترخيص.

1- يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص129.

2- إلهام محمد علي هني، المرجع السابق، ص47.

3- مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص558.

4- إلهام محمد علي هني، نفسه، ص83.

5- يحي ولد سيد احمد، ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، ج1، الجزائر: د.المعارف، 2009، ص86.

6- علي بدوي علي سليمان، المرجع السابق، ص81.

هذا الإجراء أفقد المشايخ ونوابهم حرية التنقل التلقائي، حيث أصبحوا مطالبين وفق القانون الفرنسي الجديد. وقبل التنقل الحصول على الترخيص من السلطات الفرنسية، وذلك بعد أن يُدرس طلبهم المقدم مسبقاً، ويتعلق الأمر بالحركة داخل البلاد أو خارجها، مما ضيّق على حرية المشايخ، وهذا ما دفع ببعضهم إلى تجاوز الأوامر وقد عرّضهم ذلك إلى عقوبات مادية ومعنوية, ولم تكتف فرنسا بذلك بل طالبتهم بإجراءات أخرى نذكر منها[1]:

1- ضبط مسالك التنقل وتوضيحها بذكر الأماكن التي ستقع الإقامة بها خلال الرحلة، وتحديد مكان إقامة وتنقل الشيخ.

2- توضيح أسباب وغاية التنقل، حتى تقف فرنسا على الغايات الحقيقة لذلك عمدت إلى التثبت منها أو إلغائها، إذا ظهرت أسباب وغايات قد تضر بمصالحها.وبذلك تمكنت فرنسا من منع عدد هام من المشائخ من التنقل لأسباب واهية، وفي ذلك إضعاف لدورهم وتقليل من مكانتهم على جميع المستويات.

3- السماح بالتنقل شريطة عدم جمع الهدايا (الزيارات) متعلِّة بالأوضاع الاقتصادية للسكان، خاصة في سنوات الجفاف والكوارث الطبيعية. في حين كان هدفها الحقيقي من ذلك التضييق على المشايخ من جهة والتخفيف على السكان حتى يتمكنوا من دفع الضرائب للمستعمر الفرنسي.

هذه السياسة التي انتهجها الاحتلال اتجاه الطرق الصوفية ومشايخها القادرية خاصة، اكتسبتها فرنسا من خلال تجربتها في مستعمراتها بشمال إفريقيا، حيث كان للقادرية دور هام في المقاومة التي عرفتها الجزائر طيلة 50 سنة الأولى من استعمارها[2].

الأوساط الاستعمارية، وحتى مصادر القرار هوّلت وضخمت أمر الطرق الصوفية، حتى أصبحت ترى أي تحرك معادٍ لها، جهاداً مقدساً موجهاً أساساً نحو "الكفار والمشركين" تقف وراءه الطرق الصوفية[3].

هدفت فرنسا إلى استغلال الطرق وخاصة القادرية لخدمة مصالحها وتحقيق أهدافها نظراً لمكانة أقطابها وشيوخها ونفوذهم، ولتحقيق ذلك عمدت فرنسا إلى منحهم امتيازات تمثلت في[1] :

1- علي بدوي علي سليمان، المرجع السابق،ص82.

2- نفسه، ص80.

3- التليني العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939،تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة 1992، ص79.

1- إعفاء أبناء بعض الأقطاب من الخدمة العسكرية.

2- التستر على مخالفات بعض الشيوخ وعدم فضح محاكماتهم علنياً.

3- منح بعض الشيوخ تسهيلات في تسديد ديونهم.

4- احتواء الزوايا وذلك بمنح أقطابها مبالغ مالية لحملهم على الوقوف إلى جانب المستعمر، وبذلك تمكنت فرنسا من احتلال البلاد بأقل الخسائر والتكاليف.

5- ضرب الشعب بعضه ببعض، حيث تصارع الأقطاب الموالين لفرنسا ضد المعارضين لها، كما كلفت فرنسا الموالين لها بحماية البعثات والقوافل التجارية مروجةً لفكرة إحلال السلام والأمن، والقضاء على الناهبين واللصوص وتوفير الظروف الملائمة للعيش.[2]

حملت زعامات من الطريقة القادرية لواء رفض الاستعمار الفرنسي في الشمال،لكن هذا لاينفِ وجود زُعماء وأنصار للقطب القادري أيدوا الاستعمار في الجنوب لأسباب عدة:[3]

1-**طبيعية:** للتأثير المناخي القاسي والظروف الطبيعية الصعبة في الشمال دور كبير في جعل النفوس مستعدة للجهاد، إضافة إلى أن هذه المناطق الصحراوية كانت في منأى عن الرحلات الأولى للأوروبيين.

2-**اجتماعية:**في الجنوب حيث الحواضر على سواحل نهر السنغال جعل أتباع الطريقة يعتمدون على التجارة، وبالتالي ضرورة المحافظة على العلاقات والاستقرار، فرأس المال جبان[4].

ومن هنا يتضح أن أتباع الطريقة القادرية الرافضين للاستعمار هم من أبناء البدو والريف في الشمال، بينما المؤيدون للفكرة هم أبناء الحضر في الجنوب[5].

1- علي بدوي علي سليمان، المرجع السابق، ص 83.

2- نفسه، ص94.

3- بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الموريتاني للمنطقة، تر:محمد محمود ودادي، ط1، 2001، بنغازي ليبيا: دار الكتب الوطنية، ص20.

4- إلهام محمد علي هني، المرجع السابق، ص57.

5- علي بدوي علي سليمان، المرجع السابق، ص95.

➢ **الجماعات القادرية المؤيدة للاستعمار**: نظراً لما كانت تعانيه موريتانيا من ضعف وغياب حكومة محلية مركزية، وما نجم عن ذلك من تسيب واعتداءات وعُنف طال الجميع[1]. بما فيهم أتباع الطريقة القادرية, فإن هؤلاء تذمروا من حمل السلاح واعتبروا حمله عدولاً عن أخلاق القادرية إلى أخلاق المجموعة المحاربة من الحسانية، وقد تزعم هذا الطرح الشيخ "التزّاد" وعمه الشيخ"سعد[2] أبيه"[3]، سندهم في ذلك بعض أراء الإمام مالك التي تنص على جلب المصلحة ودرء المفسدة[4]، واعتبروا إعلان الجهاد في المجتمع يفتقر لسلطة مركزية وهو بمثابة فتنة كبرى، وقد ساقوا أسباب عدة تبرِّر موقفهم هذا منها:

1.تفوق فرنسا العسكري: إذ رأوا بأنه لا مجال للمقارنة بين قوة جيش كبير العدد، قوي العدة وبين مجتمع فقير مشتت.

2.الأحوال الاقتصادية: اعتبرَ أتباع القادرية المؤيدين للاستعمار توفر السلع الفرنسية في الأسواق إنجازاً ومساعدة طالما افتقرت إليها البلاد، متجاهلين حاجة فرنسا لأسواقهم لترويج منتجاتها وما ينجم عن ذلك من إضعاف للإنتاج المحلي.

3.عدم التعرض للدين: إذ يرى القادريون أنفسهم مسؤولون عن الدين ومؤسساته، وبما أن الفرنسيين لم يتعرضوا لدورهم فقد اعتبروا ذلك دعماً لِعَملِهم، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك باعتبار فرنسا معيناً للمسلمين على بناء المساجد والمدراس، وسير الحج وإيصال المؤلفات والكتب المطبوعة الشرقية والغربية، إضافة إلى إكرام علماء الدين وشيوخ التصوف[5].

من خلال هذا يتضح أن الطرف المؤيد للاستعمار الفرنسي كان مدفوعاً بدافع الحرص على مصالحه المادية والروحية والتي تتطلب الاستقرار والأمن، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان دافعهم الطمع في امتيازات فرنسا ونيل الحظوة.

1- حماه الله ولد سالم، تاريخ بلاد شنكيط "موريتانيا"، ط1،2010، بيروت: دار الكتب العلمية، ص325.

2- **سعد آبه** بن محمد الفاضل، هو شقيق الشيخ"ماء العينين"، توفي في جويلية1917م.**ينظر**: ـ بول مارتي، المرجع السابق، ص175.

3- بول مارتي، المرجع السابق، ص30.

4- علي بدوي علي سليمان، المرجع السابق ص96.

5- نفسه، ص97.

➢ **القطب المعارض للاستعمار:** تزعّم هذا التيار الشيخ "ماء العينين"[1] الذي كان يعتبر دخول الفرنسيين البلاد الموريتانية لا مسوغ له شرعاً، خاصة وأنه لم يكن بإذن سلطان ولا من مسلم قادر على دفعهم. لذا وجب قتالهم، ومن هذا المنطق رفض الشيخ "ماء العينين"[2] أن تكون له أية صِلة مع الفرنسيين بل ذهب إلى أكثر من ذلك، حيث هدَّد بقطع رأس كل من يدخل أرضهم بغير إذن، كما يرى أن القول بمهادنتهم جهلٌ بما فعلهُ النصارى بالأندلس ومصر، متأثراً بعدة عوامل منها:

1- تأثر أبناء الطريقة القادرية بالمحيط السياسي من حولهم، كحركة الحاج عمر الفوتي الجهادية[3].

2- إفتاء كثير من فقهاء البلاد الموريتانية بحُرمة التعامل مع الغزاة، وحثوا على الجهاد بل وشاركوا فيه على غرار محمد المختار بن حامد، ومحمد المختار بن المامي[4].

3- مُبايعة الشيخ ماء العينين لسلطان المغرب، والذي كلّفهُ رسمياً بإدارة شؤون الجهاد في الصحراء[5]، وقد شاركه في ذلك أمير أدرار وأمير الترارزة وأمير البراكنة وأمير الحوض[6], كما انحازت أغلب القبائل إلى الزعامة الشمالية المجاهدة وأعلنت مبايعتها للشيخ ماء العينين، ليتزعم هذا الأخير الجهاد المقدس لإعلاء كلمة الله، ودفاعاً عن الوطن ضد الاستعمار،وقد كبّد المستعمر خسائر فادحة.

1. 2.التيجانية والجهاد: يرتبط نشاط الطريقة التيجانية في منطقة السودان الغربي بالشيخ "الحاج عمر الفوتي" كونه أول من أدخلها المنطقة، لذا يمكن تقسيم هذا النشاط إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة الحاج عمر، ومرحلة ما بعده.

1- **الشيخ ماء العينين** "محمد فاضل" بن محمد فاضل بن مامين القلقمي، ولد يوم 27شعبان 1246هـ/1831م، توفي 21 شوال 1328هـ/1910م، من أعيان البلد عالم وشيخ صوفي ومجاهد كبير. درس في مدينة شنقيط، واتخذ من السمارة بالصحراء مقراً، وكانت له علاقات طيبة بسلاطين المغرب، قاد الجهاد المسلح في المغرب وبلاد شنقيط، ضد الاستعمار الفرنسي. **ينظر:** الخليل النحوي:بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ،1987، ص517.

2- الشيخ لعرج، المرجع السابق، ص218.

3- علي بدوي علي سليمان، المرجع السابق،ص106.

4 ـ **محمد المختار بن حامد** البكري الكنتي أحد الأبطال البارزين في المقاومة، توفي بالحجاز حوالي1915. بينما **محمد المختار بن المامي** بن محمد آبه ولد سنة 1870 في أسرة علمية، دخل في حلف "كزافييه كبولاني" الحاكم الفرنسي في موريتانيا (1902.1905)، ثم نقضه وقاوم الفرنسيين. **ينظر:** يحي ولد سيد احمد ن المرجع السابق، ص ص86،85.

5- علي بدوي علي سليمان، المرجع السابق، ص107.

6- يحي ولد سيد احمد، المرجع السابق، ص83.

1ـ2.أ- **حركة الحاج عمر الفوتي الجهادية:** يعتبر رائد الطريقة التيجانية في إفريقيا الغربية المجاهد الكبير والداعية الشهير عمر بن سعيد الفوتي[1]، أسس في منطقة "فوتاجالون" رفقة أخيه رباطاً، قضى به سبع سنوات يُرشد ويُعلّم وينشر مبادئ الطريقة التجانية، فالتفّ حوله أنصار كثيرون آمنوا بدعوته وطريقته التجانية، ووهبوا أنفسهم للإسلام وتسلحوا بالأسلحة الحديثة التي كانوا يشترونها من التجار الأوربيين.[2]

ومن بين مساعي الحاج عمر أنه من خلال أخذه للطريقة التجانية، كان يطمح إلى إقامة دولة فدرالية في غرب إفريقيا تسير وفق المنهج الإسلامي، ورغم أنه واجه عوائق كثيرة في طريقه أبرزها جيوش الاحتلال، غير أنه تمكن من تحقيق جزءاً كبيراً من أهدافه، حيث انخرط الكثير من سكان المنطقة في الطريقة التجانية، وانتشرت بينهم تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة بعيداً عن الوثنية والإلحاد.[3]

كانت البلاد قبل ظهور هذه الحركة الإصلاحية تعيش في نوع من التصدع السياسي والاجتماعي، مما جعل شيخ التيجانية بالمنطقة الحاج عمر يتوجه نحو الفئات البسيطة من العامة، ليُرسِّخ في ذهنهم فكرة مفادها البحث عن مخرج لإصلاح حال المسلمين وإعادة المنطقة لدائرة الإسلام الصحيح.[4]

الحاج عمر باعتباره أبرز شيوخ الطريقة التيجانية، شنّ حملات واسعة سعياً منه للقضاء على الوثنية، ورغم انشغاله بالجهاد إلا أنه لم يتوقف عن إلقاء دروس الوعظ حتى لجيوشه، فكان له أن حكم إمبراطورية واسعة[5] يمتد كيانها من تمبكتو حتى المحيط الأطلسي.[6]

في عام 1848م جمع الحاج عمر قوات كبيرة قادها نحو "دانقيري"، وأعلن الجهاد ضد الإمارات الوثنية، حيث غزا "كارتا" والمناطق المحيطة بها وأخضعها عام 1854م.

في نفس السنة كان قد كتب الحاج عمر إلى الحاكم الفرنسي "برونت" يطلب منه تزويده بأسلحة فرنسية، وهنا بدأت العلاقات الفرنسية بالحاج عمر تتذبذب وتأخذ منحى آخر، بسبب عدم استجابة

1- عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص200.

2- بوعزيز يحي، المرجع السابق, ص137.

3- قحام عمار، المرجع السابق، ص79.

4- نفسه، ص75.

5- **أنظر**: إمبراطورية الحاج عمر التجاني، الملحق8، ص77.

6- محمد علي الهمشري، السيد أبو الفتوح وآخرون، انتشار الإسلام في إفريقيا، ط1، الرياض: دار أراكان، 1997م، ص63.

الحاكم الفرنسي لطلبه، وعندما أدرك الاستعمار الفرنسي الخطر المتمثل في حركة الحاج عمر الذي أصبح يُهدد مصالحه التوسعية في المنطقة والسودان الغربي، نزلوا عليه بقوات عسكرية كبيرة وحاصروا منطقة "فوتاتور"، غير أنهم لم ينجحوا في تحقيق مساعيهم بالكامل، لكنها أضعفت نوعاً ما قوات الحاج عمر، حيث اتفقت القوات الفرنسية مع حاكم "ماسينا" ضده[1].

لما اشتد تغلغل القوات الفرنسية في هذه المنطقة خلال الفترة الممتدةبين1857-1859م اضطر الحاج عمر أن يوقف تقدمه غرباً، ويتحول نحو الشرق، فغزا مملكة "سيغو"[2] عام 1862م.

الاتفاق الذي تم بين الوثنيين والاستعمار الفرنسي،عرقل حركة الحاج عمر الجهادية،مما دفع هذا الأخير لضرب تجارة الفرنسيين بالمنطقة. كما قام بمحاصرة القاعدة الفرنسية سنة1273هـ-1857م، في الوقت الذي ظهر فيه الضابط الفرنسي "فيدهرب" والذي وضع خُطةً محكمة لدحر قوات الحاج عمر وقد نجح في ذلك سنة1275هـ-1858م.

عاد الحاج عمر إلى "فوتاتور" لجمع القوة للرد على الفرنسيين، حيث جمع حوله "أربعين ألف" مقاتل، لكن الفرنسيون تمكنوا من إسقاط فوتاتور، مما تسبب بضرر معنوي كبير أثّر على مكانة "الحاج عمر"[3]، الذي اضطر إلى تغيير وجهته نحو نهر النيجر لمواصلة جهاده،حيث قصد "البمبارا" الوثنية، وأرغم سكانها على اعتناق الإسلام، وبنى حصوناً حول المدينة، وعين ابنه "أحمدو" أميراً عليها. ولم يكتف بمضايقة الفرنسيين فحسب، بل واصل توغله إلى "غامبيا" التي كانت تحت السيطرة الانجليزية، وعمل على إثارة السكان ضد الوجود الإنجليزي، ولم تتمكن بريطانيا من إخماد هذه الثورة حتى تحالفت مع الفرنسيين[4].

نجح الحاج عمر في غزو مدينة "تمبكتو"عام1863م، مُركزاً جهوده على نشر الإسلام، ومحاربة الوثنية، وتوسيع نطاق امبراطوريته. لكن بعض أصحابه رغبوا في متاع الدنيا، فأثاروا ضده إمارة "البمبارا" في "سيغو"، وإمارة "الفولاني" "بمسينا"، الأمر الذي أدى إلى استشهاده سنة 1864م.

1- قحام عمار، بن شعبان سلمى، المرجع السابق، ص78.

2- "**سيغو**" الواقعة على حوض نهر النيجر في القسم الجنوبي من مالي.

3- رونالدو أوليفر، أنتوني أتمور:أفريقيا منذ عام 1800، تر: فريد جورج بوري، مراجعة: عبدالله عبد الرزاق إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، ص100.

4- إلهام محمد علي هني ، المرجع السابق، ص 91.

1.2.**ب– جهاد التيجانية بعد الحركة العمرية:** نتيجة الصراع العائلي على السلطة تعرض أبناء الحاج عمر ووُلاّتِه لثورات السكان، والتي أدت إلى مقتل ابنه أحمدو سنة 1898م، وبذلك سقطت الدولة التكرورية الإسلامية في أيدي الفرنسيين.[1]

خلال النصف الأول من القرن العشرين مَالَ شيوخ التجانية إلى المهادنة، ومقاومة المستعمر بالطرق السلمية رغبة منهم في المحافظة على الهوية الإسلامية، وإيماناً منهم برجحان ميزان القوة لصالح المحتل، وقد فضَّل كل منهم مواجهة الاستعمار بالإصلاح والتوعية، والوقوف في وجه مخططات التفرقة وضرب مقدسات المسلمين، والعمل على صيانة أسس الهوية الوطنية لشعوب غرب إفريقيا، وقد تزعم هذا التيار عدة شيوخ تجانيين نذكر منهم: سعيد النور التال (1873- 1980)، إبراهيم نياس (1900- 1975)، الشيخ مالك سي (1855-1922)، وقد كانهذا الأخير مُقدماً عند الحاج عمر رغم صغر سنه، وذلك لنبوغه وعلمه، حيث كان حافظاً للقرآن، ودارساً للفقه[2].

بعد التجربة الجهادية المسلحة التي مرت بها الحركة التيجانية بقيادة مؤسسها الشيخ عمر تال، والتي انتهت باستشهاده على يد أعدائه دون تحقيق هدفها الأكبر، أصبح عند شيوخ التيجانية ومنهم الشيخ مالك سي يقين أن هذا الأسلوب في الجهاد جلب العداء للتجانية، وأنّ الاستمرار فيه قد يهدد بيضة الإسلام، لذا وجب ـ حسب رأيه ـ تهدئة الأمور، والتكيّف مع واقع الحال من خلال مهادنة القوى المحتلة والتركيز على الجانب التربوي التعليمي التوعوي[3].

إنّ هذا التوجه المتجدد الذي انتهجه التجانيون لم يكن عامّاً، فالملاحظ أنّ تأثير فكر الحاج عمر الجهادي ظل حيًّا في نفوس بعض التجانيين، وهو ما تجلّى في أحد تلامذته ومريديه المعلم القرآني الشاب "ماباجا خوبا"، الذي قاد أهالي منطقة "ريبRip" المتاخمة للحدود السنغالية الغامبية لتأسيس دولة خاصة بهم بعد طغيان وظلم الوثنيين، حيث قام بعدة غارات ضد الوثنيين، كما استطاع التصدي لهجوم خطير شنته القوات المسلحة الفرنسية، بقيادة الحاكم الفرنسي بالسنغال "أميب بيني لابراد

1– يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص ص139،138.

2 ـ قحام عمر، بن شعبان سلمى، المرجع السابق، ص81.

3 ـ الشيخ لعرج، المرجع السابق، ص189.

émilepinetlaprade" وكبّدهم خسائر فادحة.[1] وقد حاول "مابا" المزج بين النشاط الدعوي الإصلاحي والجهاد المسلّح، واستمر على هذا النهج إلى أن سقط شهيداً سنة1867م.[2]

وهكذا بفضل هذا النشاط الدعوي السلمي تارة والجهادي المسلح تارة أخرى، تمكن مسلمو بلاد الهوسة التيجانيون من التغلغل إلى داخل مناطق القبائل الوثنية جنوب النيجر، ونشروا الإسلام في أرجائها وفي مملكة "اليوروبا" كلها، و كذا عرقلة وإضعاف النفوذ الاستعماري في غرب إفريقيا.

إنّ ابتعاد السكان في منطقة غرب أفريقيا عن تعاليم الإسلام الصحيحة، أدى إلى انتشار الجهل، وتدهور الأخلاق، واستفحال الأمية، والنتيجة كانت عودة العقائد الوثنية، حيث وصل بعض معتنقيها إلى سُدة الحكم، يُضاف إلى هذا تنامي الأطماع الأوربية للسيطرة على مقدرات القارة. في هذا المناخ الصعب والمتعفن، ظهرت حركات إصلاحية قادها شيوخ وعلماء دين بمسحة صوفية، عملوا على تطهير الإسلام من تلك الممارسات والشوائب التي علقت به وترسخت في أذهان الناس، إضافة إلى تبليغه للأقوام الوثنيين تارة بالدعوة والنصح، وتارة أخرى بحد السيف. ورغم وقوع المنطقة تحت براثن الاحتلال الأوربي، فإنّ هذه الحركات الإصلاحية كانت هي النور الذي أنار درب حركات التحرر.

2- الخلاف والتوافق بين الطريقتين:

كان لوصول الطريقة التيجانية لمنطقة السودان الغربي ردود أفعال متباينة، إذ تقبّلها البعض وتبناها كونها ـ في نظرهم ـ منهج ديني مُجدّد ومصلح لحال البلاد والعباد. لكن البعض الآخر (مريدو الطريقة القادرية) رأوا فيها عدوٌّ يهدد كيانهم، وينافسهم على النفوذ في المنطقة. هذا التباين نتج عنه سِجال فكري طويل بين الطرفين، انتهى بصراع مسلح حول مناطق النفوذ. لكن هذا لا يعني عدم وجود نقاط التقاء تتفق عليها الطريقتان، بحكم الغاية ـ خدمة الدين ـ وإنْ اختلفت الوسائل وتعددت الأساليب.

2. 1- **الخلاف الفكري بين القادريين والتجانيين:** يرصد المؤرخون تبايناً واضحاً بين منهج الطريقتين الأكثر انتشاراً في منطقة السودان الغربي، مستندين في ذلك على موقف كل طريقة من القضايا الدينية والسياسية، وحتى الاجتماعية التي عرفتها المنطقة منذ وصول التصوف إليها، كما أنهم يجمعون أن الطريقة القادرية انتشرت في وقت مبكر في بلاد السودان، أما الطريقة التيجانية فقد كانت فكرتها جديدة، لذا

1ـ صبحي ودادي، المرجع السابق، ص4.

2 ـ أحمد بوعتروس، المرجع السابق، الجزائر،2009، ص358.

اعتبر التيجانيون أنفسهم مجددين ومصلحين، ومن هنا كانت حركة" الحاج عمر"الفوتي الجهادية بمثابة ثورة على الدول القائمة في المنطقة، وذلك لاستبدال الطريقة القادرية التي تقوم على تفسيرات الفقهاء فقط بالتيجانية الإصلاحية المتجددة، التي تقوم على أساس الدين الإسلامي الصحيح بفتح المجال للاجتهاد.[1] فمبادئ التيجانية تتلخص في ضرورة استخدام القوة والسيف في محاربة الوثنيين، كما تميزت بتزمتها الشديد ومناهضتها للطرق الصوفيـة الأخرى.[2]

لكن هذا لا يعني أن المنهج المتبع من طرف القادرين لم يكن ناجعاً، فباعتمادهم أسلوب الإقناع والحكمة تمكنوا من التأثير في المجتمعات الوثنية بطريقة سلمية لا مجال للعنف فيها، ولعل ما ساعد الطريقة القادرية على الانتشار بين الأفارقة أيضاً؛ هو تكيُّفها مع بيئة المجتمعات الإفريقية وعاداتهم وتقاليدهم، حيث كانوا يمارسون طقوسهم باستعمال الطبول، ويقيمون حلقات الذكر، ويوضح بعض المؤرخين أن القادرية وجدت قبولاً في المنطقة لأنها تخلط بين العبادات والحركات الأخرى كالرقص، إضافة إلى الطاعة العمياء التي كان يحظى بها الشيوخ من طرف مريديهم[3].

يُعتبر مقال "اجه ولد محمد" في مجلة الدراسات التاريخية واجتماعية،ـ تمت الإشارة إليه سابقاً ـ من المراجع القليلة التي تناولت المسَاجلات الفكرية بين أقطاب الطريقتين من خلال تحليل نماذج من الرسائل التي بعث بها "أحمد البكاي الثاني" القادري إلى أقطاب التيجانية في المغرب، ومما جاء في المقال بخصوص هذا الموضوع ما ملخصه:

يخاطب الشيخ أحمد البكاي في بداية رسالته الأولى أتباع طريقته (القادرية المختارية) من أهل مراكش، وقد حدد مجموعة من فقهاء ومُقدَّمي الزوايا ونقباء الطريقة بذكر أسمائهم، يوصيهم بضرورة التآخي ونبذ الشقاق والفرقة، فهم في نظره قدوة المجتمع وقاطرته، ليتطرق بعدها إلى منهج التجانين، الذي يراه متناقضاً، فهم من جهة يدّعون أنّ لا مثيل للتجاني في الأشياخ، ولا لأصحابه في الأصحاب، ومن جهة أخرى يُقرِّون أنّ عبد القادر الجيلاني سلطاناً للأولياء، فَلِما اتبعوا من هو دونه مرتبة ؟ ليؤكدَّ بأنه لم يبق من الطرق الصوفية طريق توصل بغير انقطاع إلا طريق شيخه عبد القادر الجيلاني.

1 ـ عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 93.

2 ـ إلهام محمد علي ذهني،المرجع السابق، ص32.

3 ـ قحام عمر، بن شعبان سلمى، المرجع السابق، ص25.

ويواصل أحمد البكاء إظهار ضعف منهج التيجانية، المبني حَسَبهُ على شائعة "فتح أبواب الرزق والبركات على كل من انتسب للطريقة التيجانية" إذ يعتبر البكاي أنّ الداخل في طريقة بلا شيخ ولا سند لغرض الحصول على الرزق أنه يعيش في وهمٍ وخيال.

بالرغم ما يُلمَس من احترام أحمد البكاي للشيخ التيجاني المراكشي "محمد أكنسوس"[1]، بصفته من أهل العلم والفضل، إلَّا أن الرسالة في مُجملها كانت تصبُّ في مدح القادرية والثناء على شيخها وتلامذته من جهة، ومن جهة أخرى كانت تهدف إلى طعن التيجانية في الصميم وكشف عيوبها، وتقزيم قدرتها على منافسة الطريقة القادرية. وإظهار مريديها على أنهم مسلوبي العقل والمنطق، منقادين إلى ما يُراد لهم بدون حس ولا وعي.[2]

رسالة أحمد البكاي الثانية والتي كانت خصيصاً إلى محمد أكنسوس، امتازت بالقصر ولكنها كانت في السياق ذاته، إذا اعتبرها إرشاداً وتنبيه لأكنسوس الذي اتّبع الطريقة التيجانية، وهي طريقة لا شيخ لها يوصل بإمامها، وهذا في نظر البكاي مخاطرة وتغرير، إذا ينفي وجود أية طريقة للشيخ التيجاني،معتبراً أنّ ما عنده يسمى ورداً لا طريقاً وإن زعم التيجانيون ذلك.

إذ يقول «وأما الطريق التي يذكر التيجانيون عن التيجاني فليست بطريق، وإنما ذكراً موحداً ورقصاً، وهجراناً لأولياء الله تعالى، هذا ما بلغني عن طريقهم ...»[3]

ويتدارك كلامه عن التيجاني فيذكر أنه كغيره من المشايخ يحبُها لوجه الله، وحسب ما بلغَهُ من أخبار أنه ولي، وشريف، وأنّ خطابه –أحمد البكاي– ليس نابعاً من عصبية ولا حسد للتجانيين أو شيخهم، وإنما مرده حب النصيحة وإسداء المعروف[4]. فبحسبه –أحمد البكاي– أنّ الأسباب التي جعلت التيجاني ينجح في أقواله بالمغرب، أنه جاء في وقت ضعفٍ، قلَّ فيه العلماء، وضعف الأمراء، وكثر الجهل في

1 ـ **محمد أكنسوس**: ولد بإقليم السوس سنة 1211هـ/1796م، تولى منصب الكاتب والوزير في عهد السلطان مولاي سليمان، توفي سنة 1294هـ/1877م بمراكش. **انظر**: محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص214.

2. أحمد الأزمي، المرجع السابق ،ج3، ص 292.

3 ـ د. أجه ولد محمد، المرجع السابق ص13.

4 ـ نفس المرجع السابق.

أهله، فادعى "أحمد التيجاني" لهم دعاوي، وأملى لهم الأماني، وجعلهم يقولون أنّ التيجاني هو آخر مؤسس للطرق الصوفية فلا يأتي ولي بعده بطريقة جديدة.[1]

ما يتضح من خلال الرسالتين أن القادرية أحسّت بخطر المنافسة من قبل الطريقة التيجانية لذلك انصبَّ اهتمام القادريين على مهاجمة رموز الطريقة التيجانية، الذين لم يتوانوا أبداً في الرد عن هذه الاتهامات، ولعلّ أشهر ردود التيجانية على خصومها، حمله المخطوط المسمى "الجواب المسكت في الرد على من تكلم في الطريقة التيجانية بلا تثبت"، وهو عبارة عن رسالة يردُّ بها "الشيخ محمد أكنسوس" على الشيخ "أحمد البكاي"، ملتمساً له العُذر، فالخطأ حسَبه ليس خطأ البكاي، وإنما هو خطأ من بلغوه عن الطريقة التيجانية، يقول أكنسوس ملتمساً العذر:[2]

"ولسنا أنكم تقولون الباطل حاش الله ، لكن المبطلون هم الذين بلغوكم غير الحق وقضيتم بما سمعتم"

ويقول أيضاً مهدداً:[3] "لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكفّ الأذى عنكم وتؤذونا"

كما يعتبر "المختار بن وديعة الله"[4] من الفقهاء التجانيين الذين أغلظوا القول في الرد، إذ كانت تعابيرهُ أكثر جرأة وصرامة وشتمًا للبكاي ومن الأمثلة على ذلك قوله: "فانظر أيها المنكر الحاسد والجاهل المعاند إلى كلام هؤلاء الفضلاء الأتقياء، تجد نفسك جاهلًا معاندًا ومقتحمًا كاذبًا"[5]

باستثناء خصوصية العلاقة التي تربط بين المريد والمقدم باعتباره نائباً للشيخ، والقائمة أساساً على ضرورة طاعته ومحبته، واعتقاد ولايته وصلاحيته لخدمة الحضرة الإلهية، فإن تربية الفرد المسلم على منهج الطريقة التيجانية لا تختلف عن المنهج الإسلامي التربوي العام المبني على الكتاب والسنة، أما ما يخالف ذلك فيعتبر ممارسات مرفوضة، كزيارة القبور، والسجود أو الخنوع لأحد كحالة السجود، الرقص أو التمايل حال الذكر، أكل أموال الناس بالباطل.[6]

---

1 ـ محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص221.

2. نفسه، ص218.

3 ـ نفسه، ص219.

4- "**المختار بن وديعة الله**: من أشبال الطريقة الجامعين بين الشريعة والحقيقة له مناقب كثيرة وتآليف شهيرة. توفي سنة 1280هـ /1863م"- أحمد الأزمي، المرجع السابق،ج3، ص،209.

5. أحمد الأزمي، المرجع السابق ،ج3،ص 300.

6 ـ غانمي عمرو سعيد، المرجع السابق، ص 213،214،

2-1.ب ـ الصراع العسكري بين التيجانيين والقادريين: عندما بدأ الحاج عمر زحفه نحو الشرق واجه جيش "سيغو-Segu" بقيادة ابن الملك ويدعى "تاتا-Tata"والتقى الجيشان عند "ويتالا-Witala" ونجح الحاج عمر في هزم البمبارا، واستولى على "سان ساندنج-Sansanding"حيث مكث بها خمسة أشهر قبل أن يواصل الرحلة إلى "سيغو". وفي تلك الفترة أرسل أحمدو شيخو-أحمدو الثالث- ابن أحمدو لوبو (1853-1862م) حاكم ماسينا، تعزيزات عسكرية بقيادة عمه "بالوبو-Balobbo" لمساعدة إمبراطور "سيغو" ضد أي هجوم من قوات الحاج عمر، إذ كان يرى أنّ "سيغو" تابعة لحكم "ماسينا" وأن مسألة تحويلها للحياة الإسلامية الصحيحة مسؤوليته هو وحده.[1] فكان هذا العمل مبرراً لكي يفكر الحاج عمر في غزو ماسينا.[2]

قابل الحاج عمر قوات "سيغو" ومادينا في يناير1861 في "تيو-Tio" وتمكن من إنزال الهزائم بهم. وأجبر "بالوبو" على الانسحاب وهزم البمبارا في مارس1861 وهرب ملكها إلى مدينة حمد الله عاصمة ماسينا. ودخل الحاج عمر مدينة "سيغو" وأشعل فيها النيران وقتل عددا من سكانها الوثنين.

فكر الحاج عمر بعد ذلك في غزو ماسينا، التي ساعدت "سيغو" وتحدى ملكها قوات الحاج عمر، وبالتالي دخل الحاج في صراع مع قوات مسلمة تحت إمرة حاكم مسلم، يدافع عن العقيدة ضد الوثنين منذ أيام جده الشيخ أحمدو لوبو مؤسس مملكة ماسينا، في الوقت الذي كان يسعى للتحالف معهم، ولكن الخلافات بين الحاج عمر وهذه الشخصيات حالت دون تحقيق هذا التحالف، فضلاً عن تخوف هذه الزعامات على ملكها، الأمر الذي دفعها إلى التحالف مع الوثنيين والفرنسيين.[3]

ونظرا لتعقد الموقف وحقنا لدماء المسلمين فقد كتب "أحمدو شيخو-الثالث" خمس رسائل إلى الحاج عمر وكلُّها رسائل قصيرة، وقد نظم الحاج عمر محتوياتها في منظومة برّرَ فيها حربه مع أحمدو الشيخ الذي تحالف مع الوثنين ضده. وفنّد الحاج عمر مزاعم أحمدو بأنه ناضل ضد الوثنين وأنه حوّل المنطقة إلى الإسلام، وأن حربه لهم تعني خلق الانقسام داخل المجتمع المسلم. وأجاب الحاج عمر بأن

1- فيج.جي. دي، المرجع السابق، ص299.

2- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا.مرجع سابق، ص77.

3- التليسي بشير رمضان، "دور الطرق الصوفية في مقاومة الاستعمار الفرنسي في غرب أفريقيا خلال القرن 18م/19م"، مجلة الجامعة الأسمرية، السنة3، ع6، 2006، ليبيا: دار المنظومة، ص ص553، 554.

السكان رغم دخولهم الإسلام إلا أنهم ما زالوا يمارسون العادات الوثنية وأن تعاونهم مع الوثنين في "سيغو" ضده، أمر لا يُقره الشّرع ولذا تجب محاربتهم[1].

إنّ الصخرة التي تحطمت عليها محاولات التفاهم بين الأميرين المسلمين، هي عدم اتفاقهما عن العقيدة التي تدين بها "سيغو" حكّامًا ورعية. ففي الوقت الذي يسعى فيه "أحمدو شيخو" إثبات إسلام هذه البلاد ، تطالعنا حجج "الحاج عمر" بما يفيد العكس.[2]

اضطر الحاكم أحمدو شيخو أن يبحث عن حليف له ضد مساعي الحاج عمر،-الذي كان يسعى لإقامة دولة إسلامية في إقليم ماسينا-[3]،وقد وجد هذا في شخصية أحمد الكنتي المعروف بالبكاي رئيس الطريقة البكائية بتمبوكتو، والذي كان ينتظر هذه الفرصة ضد الحاج عمر منذ زمن طويل، فأخذ يحثُّ أحمدو على حرب الحاج عمر حتى لا يترك له سيغو وأنه على استعداد لمساعدته. وقد اتهم أحمد البكاي الحاج عمر بأنه رجل عنيد يريد فقط بناء إمبراطورية وأنه رجل دجال. وأمام هذا النقد العنيف الاستفزازي وإصرار أحمدو شيخو على قتال الحاج عمر بدأ هذا الأخير الهجوم على ماسينا في العاشر من أبريل سنة 1862م، بعد أن عين ابنه الأكبر "أحمدو تال"حاكماً على سيغو وأعطاه لقب خليفة التيجانية.

قبل أن يواصل الحاج عمر معاركه الأخيرة في منطقة ماسينا ركز على تدعيم قوته العسكرية وازدياد الثقة في أتباعه وتوسيع حدود سلطاته، حيث بلغت قواته قبل غزو ماسينا حوالي 30.000 جندي. وتحرك جيش الحاج عمر نحو ماسينا، حيث كان جيش أحمدو شيخو ضِعفَ هذا العدد، ودارت المعركة في غابة قرب أحد سهول نهر "باني-Bani"، ورغم تفوق قوات ماسينا في البداية إلا أن المعركة انتهت لصالح الحاج عمر، حيث هزم ملك ماسينا الذي قبض عليه وأعدمه. وعين الحاج عمر ابنه "أحمدو" أميراً على ماسينا، لكن "بالوبو" وأخاه عبد السلام تآمرا على الحاج عمر فقبض عليهما إلا أنهما هربا من حمد الله عاصمة ماسينا. وتمكنا من تكوين حلف قوي ضم البمبارا الوثنيين والفولاني

1- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، ص77.

2 ـ أحمد الأزمي، المرجع السابق ،ج3، ص 503

3- حندوقة إبراهيم فرج، "الإسلام في بلاد تكرور في غرب أفريقيا خلال القرن 19"، المؤتمر الولي الإسلام في أفريقيا، ليبيا: جامعة أفريقيا العالمية، 26-2006/11/27، ص274.

المسلمين، إضافة إلى أتباع القادرية[1] في تمبوكتو بقيادة "أحمد البكاي"، الذي ظلّ يحض الماسنيين على عدم الارتكان إلى اليأس، ودعاهم إلى التكتل واستجماع قواهم، واعدًا إياهم بالدعم المادي والمعنوي[2]، ونتيجة لهذا الحلف تمكنوا من حصار الحاج عمر في مدينة "حمد الله" لمدة تسعة أشهر.

في1864/02/7م تمكن الحاج عمر من اختراق الجيش المحاصر للمدينة والفرار، لكنه تم تعقبه من مكان لآخر حتى استشهد يوم 1864/02/12م، وهو في قمة مجده، قبل أن يكمل بناء دولته الإسلامية المنشودة.[3]وقد حقق نجاحات عسكرية كبرى قبل أن تسهم عوامل ضعف التأهيل السياسي والصراع مع القادريين والمعارك في بلاد ماسينا في هزيمة جيشه وتراجع مشروعه السياسي.[4]

2-2 ـ **أوجه التوافق بين الطريقتين في مسائل الجهاد:** من الواضح أنه ليست هناك "ثوابت سياسية" للطرق الصوفية في غرب إفريقيا، ولا أدبيات موجهة تعتبر التداول السياسي أمراً يجب أن ينزه عنه التصوف، كما يظهر أن هذه الطُرق لم تقـف –تاريخياً– موقفاً موحداً من الظواهر والإشكاليات السياسية في مجتمعاتها، بل إن فروع ومشايخ الطريقة الواحدة سلكوا المسلك ونقيضه في التعامل مع السلطة السياسية، كما هو الحال في الطريقة القادرية في فرعيها البكائي والفاضلي، وكما هو الحال في الطريقة التجانية ممثلة في الحاج عمر تال بن سعيد الفوتي وكذلك الحاج مالك سي.[5]

من المعالم البارزة في الثورات الإسلامية في غرب إفريقيا، إنها كانت بقيادة رجال الدين في القبائل خاصة "الفولاني" الذين كانوا يعيشون عبر السودان الغربي بأكمله، لذا يمكن اعتبار هذه الثورات بمثابة رد رجال الدين في قبائل الفولانية المسلمة على الوضع المزري الذي عرفته منطقة السودان الغربي، من قمع سياسي وظلم اجتماعي وضرائب غير المشروعة. وكانت أهداف قادة هذه الثورات هي تحويل الإسلام من مستوى المعتقدات الشخصية إلى شريعة للمجتمع، والقضاء على البقية الباقية من العادات الوثنية المتوارثة، وإقامة إمبراطورية دينية تسودها أحكام الشريعة الإسلامية.[6]

1- فيج.جي دي، المرجع السابق ص300.

2ـ أحمد الأزمي ، المرجع السابق ،ج3،ص 519.

3- يحي بوعزيز، المرجع السابق .ص 138.

4- صبحي ودادي، "الطرق الصوفية في غرب إفريقيا والإسلام السياسي، تعاون أم تنافس؟ "مركز الجزيرة للدراسات، 2019، ص4.

5-صبحي ودادي، المرجع السابق، ص4.

6-أدو بوهان، اتجاهات وعمليات جديدة في أفريقيا في ق19م، ف3، تاريخ أفريقيا ع، مج6، 1996، لبنان: حسيب درغام،ص67

قد كان للحركات الجهادية الصوفية آثار سياسية واجتماعية عميقة، إذ أسفرت من الناحية السياسية عن إقامة إمبراطوريات ضخمة[1]، فالطريقة القادرية ممثلة في الشيخ "عثمان بن فودي" وذريته الذين أسسوا دولة إسلامية في شمال نيجيريا[2]، ممثلة في خلافة "سوكوتو"، كما أسس "أحمدو لوبو" القادري إمبراطورية "ماسينا" التي كانت تسيطر على منطقة منحنى النيجر إلى أن ضُمت إلى إمبراطورية "الحاج عمر" التي كانت تمتد من منابع نهر السينغال وغامبيا حتى تمبكتو.

أما اجتماعيا ونتيجة لأنشطة التعليم والوعظ والإرشاد التي كان زعماء حركات الجهاد وأنصارهم وقادتهم العسكريين يحرصون عليها، فإن الإسلام لم يتخلص مما خالطه وحسب، ولكنه تحول في الوقت نفسه من دين الحواضر إلى دين للمناطق الريفية أيضا،أضف إلى ذلك أنه بينما كان أميرا مملكتي سوكوتو وماسينا ينتسبان إلى الطريقة القادرية كان الحاج عمر ينتسب إلى الطائفة التيجانية التي كانت حديثة العهد نسبيا الأمر الذي جعلها أكثر استهواء لعامة الناس ولهذا السبب يزيد أتباع التيجانية عن أتباع القاديرية في غرب إفريقيا في يومنا هذا[3].

لقد أسهمت الإمارات الصوفية الثلاثة (سوكوتو- ماسينا ـ العمرية) في نشر الإسلام بين وثنيي تلك المناطق، كما أعادوا تطبيق تعاليمه بصورة سليمة، وتجلى ذلك في مناهجهم الإسلامية في الحكم والتربية، فقد طبقت تلك الإمارات الشريعة الإسلامية تطبيقاً واسعاً في إداراتهم، ولعل اتخاذ لقب أمير المؤمنين يشير بوضوح إلى نوع نظام الحكم الذي سعوا إلى تطبيقه[4].

الجانب الآخر الذي ميّز الطريقتان التيجانية والقادرية في منطقة غرب أفريقيا، هو الدور الفعّال في مقاومة الاستعمار الأوروبي عامة والفرنسي بصورة خاصة، ذلك الاستعمار الذي أراد أن يتخذ من المنطقة مجالاً حيوياً لتكوين إمبراطورية استعمارية، تحت ذريعة تطوير الشعوب وتحضرها، إذ تصدى شيوخ الطريقتين لتلك الخطط، دافعين بأنصارهم ومريديهم للجهاد ضد المحتل.[5]هذا الجانب هو الذي ميّز

---

1 – أنظر خريطة الدول الإسلامية التي قامت على الجهاد، الملحق9، ص79.

2– عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، المرجع السابق، ص26.

3–عبد الله عبد الرزاق إبراهيم نفس المرجع، ص68.

4– أحمد إلياس حسين " دور الصوفية في المجتمعات الأفريقية جنوب الصحراء، (9 ــ 13هـ/ 15 ـ 19م)"، مجلة الجامعة الأسمرية، س4. ع 6. ليبيا: دار المنظومة، 2006، ص336.

5– التليسي بشير رمضان، المرجع السابق ،ص 526.

الطرق الصوفية في جنوب الصحراء عن نُظرائها في مناطق الشرق الأوسط، إذ لم يتمكن الأوربيون من ترسيخ أقدامهم إلاّ على دماء أولئك الأبطال[1]، فالجهاد في الفكر الصوفي عموماً يعني كل نشاط فيه جُهد ومشقة يهدف إلى إصلاح الواقع، وينقسم إلى قسمين[2]:

1ـ جهاد النفس: ويكون بمخالفة هوى النفس، والابتعاد عن مباهج الدنيا.

2ـ الجهاد الحربي: وهو وثيق الصِلة بجهاد النفس، الذي يُعِدُّ المسلم إعداداً، ينعكس على شخصيته في المواقف الصعبة شجاعةً و إقداماً.

لقد اعتبر المسلمون أن محاربة القوات الأوربية هو نوع من الجهاد في سبيل الله،لأن هؤلاء في نظرهم أعداء، وحتى ولو كان لزعماء الممالك الإسلامية أطماع سياسية ورغبة في المحافظة على ملكهم، إلا أنهم نجحوا في إثارة الشعور الديني لدى الأفارقة، ولذلك لم يكن من السهل على الأوربيين اجتياح الغرب الأفريقي، ففرنسا على سبيل المثال والتي كان لها حصة الأسد في مستعمرات غرب أفريقيا،واجهت مقاومة عنيفة في كل منطقة تقدمت إليها بقواتها المسلحة، والدليل على ذلك أن القادة العسكريين الفرنسيين اعتبروا الإسلام والممالك الإسلامية العقبة الوحيد أمام تقدمهم في المنطقة، حيثُ عبّر "فيدهرب faidherbe" الحاكم العام الفرنسي في السنغال عن معاركه ضد مسلمي التكرور بقوله "إنهم يندفعون نحونا كما لو كانوا يريدون الاستشهاد"[3].

ومهما اختلفت الطرق الصوفية فإن الاختلاف ليس في المبادئ، حيث أن أهم شيء هو الرابط بين الشيخ ومريديه، لكن كل التنظيمات متشابهة ولا تختلف إلا في التفاصيل الفرعية مثل الأوراد والعهود والمراحل التي يمر بها الشخص للوصول إلى الطريقة[4]. وهذا ما يفسر تأثر التيار القادري المعارض للاستعمار في موريتانيا بالمحيط السياسي من حولهم، فقد تأثر الشيخ الخليفة بن "الشيخ محمد فاضل" بحركة الحاج عمر الفوتي الجهادية.

1- أحمد إلياس حسين، المرجع السابق،ص337.

2- التليسي بشير رمضان، المرجع نفسه، ص527.

3- إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق،ص38.

4- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص25.

الخَاتِمَة

الخاتمة:

على ضوء ما سبق عرضه وما تناولناه في طيّاتِ هذا البحث المتواضع وما حوته فصوله، نخلص في خاتمته إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

- رغم وصول الإسلام إلى منطقة السودان الغربي في فترات مبكرة، ألا أنه ظلت تشوبه بعض الممارسات الوثنية إلى غاية القرن19م، الأمر الذي دفع ببعض المصلحين الدينيين إلى محاولة إعادة العامة للدين الصحيح والقضاء على الوثنية، وبالتالي ظهرت فكرة الجهاد.
- قاد حركة الإصلاح الديني في البداية زعماء الطريقة القادرية كونها أقدم طريقة صوفية وصلت منطقة غرب أفريقيا، وقد اتسمت جهودهم بالشمولية واللّين والتكيّف مع البيئة الاجتماعية، والتركيز على الجانب الدعوي بداية، ولمّا اشتد عودهم وكثر عددهم، انتقلوا للجهاد المسلح مستهدفين الإمارات الوثنية، ثم أصبحت لهم طموحات سياسية، تجلت في قيام إمارات الهوسا الإسلامية أسسها شيوخهم على غرار إمارة سوكوتو التي أنشأها الشيخ عثمان بن فودي سنة 1803م، واستمرت بعده مدة قرن إلى أن سقطت على يد الاحتلال الإنجليزي سنة 1904م، كما أسس تلميذه ومريده "أحمدولوبو" إمارة في ماسينا بمالي (1815 ـ 1862م).
- رغم جهود القادريين الإصلاحية إلا أنّ أسلوبهم القائم على السلمية والتعايش مع الغير، شجع الإمارات الوثنية على الاستمرار، بل وربط علاقات تعاون سياسية مع إمارة ماسينا.
- في ظل هذا الوضع تبرز طريقة صوفية جديدة منافسة ظهرت حديثاً في الجزائر هي الطريقة التيجانية.
- التيجانيون في منطقة السودان قدّموا أنفسهم على أنهم يحملون فكراً إصلاحياً جديداً، لذلك عمد زعيمهم الأول الحاج عمر إلى زرع بذور أفكاره في فئة الشباب في إقليم فوتاتور بالسنغال، ولمّا استقوى بدأ بالتوسع على حساب القبائل الوثنية.
- رغبة الحاج عمر في توسيع مجال حكمه قاده إلى الاصطدام بحاكم إمارة ماسينا القادري.

- الاحتكاك القادري التيجاني بدأ فكرياً من خلال تبادل المراسلات، التي حاول كل طرف من خلالها إبراز مميزات وفضائل طريقته، وذم وكشف عيوب طريقة منافسه.
- لكن في نهاية الأمر نقوا أن ما يجمع الطريقتان أكثر من ما يفرقهما، فكلاهما خدما الإسلام في المنطقة، وساهما في نشر العلم الثقافة العربية، فكانا نموذجين مثاليين اقتدى بهما قادة حركات التحرر في إفريقيا.

وفي ختام هذا البحث لا يسعنا إلا أن نستأنس بما جاء على لسان عماد الدين الأصفهاني الذي قال: رأيت أنه لا يُكتب كتاباً في يومه إلا قيل في غده لو غُير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يُستحسن ولو قُدم هذا لكان أفضل ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

المَلاحِق

الملحق1: خريطة ممالك السودان الغربي

المرجع: رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق ص51.

الملحق2: خريطة مملكة صُنغاى الإسلامية

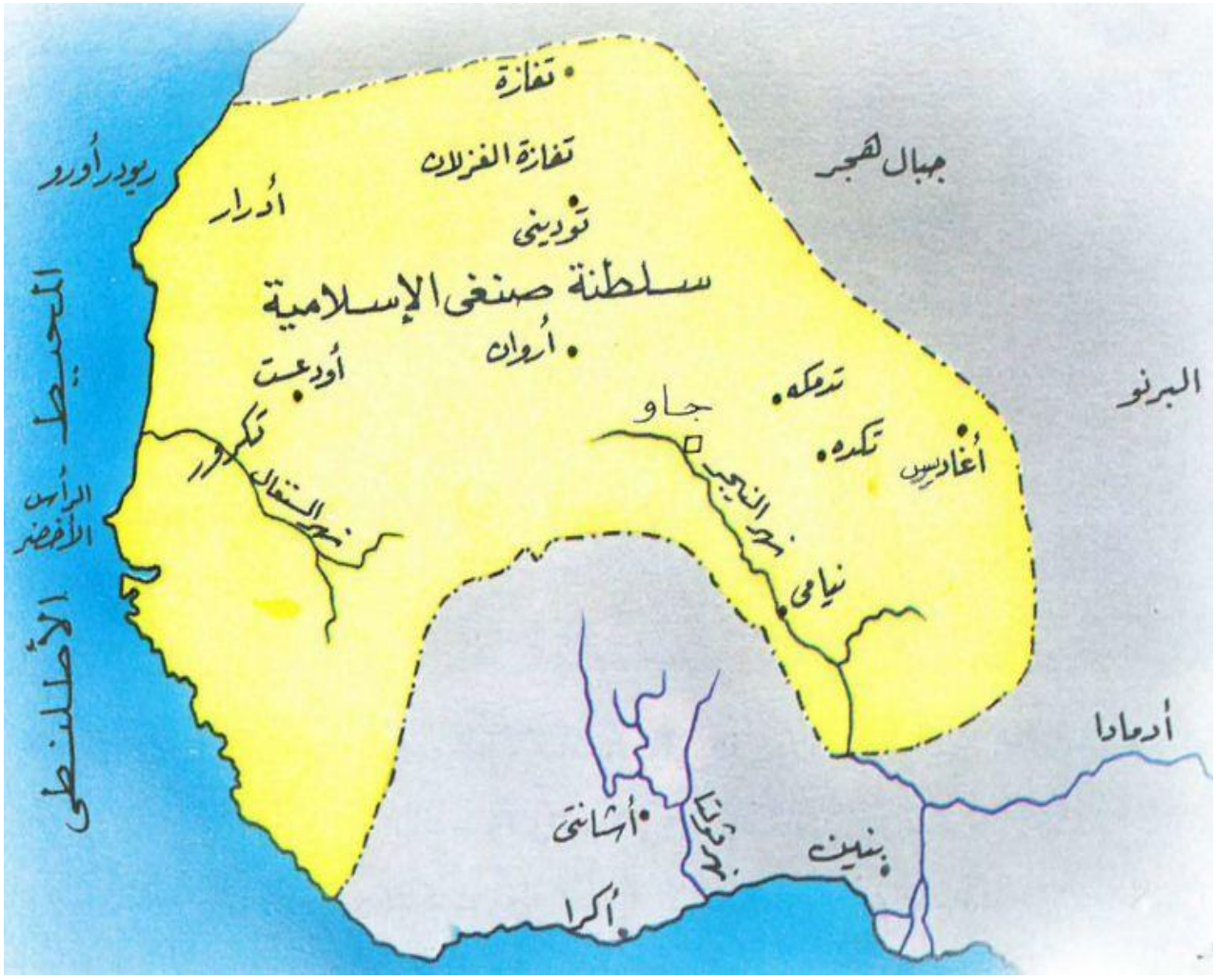

المرجع: رجب محمد عبد الحليم، نفسه، ص37.

الملحق3: الورد القادري.

ص1

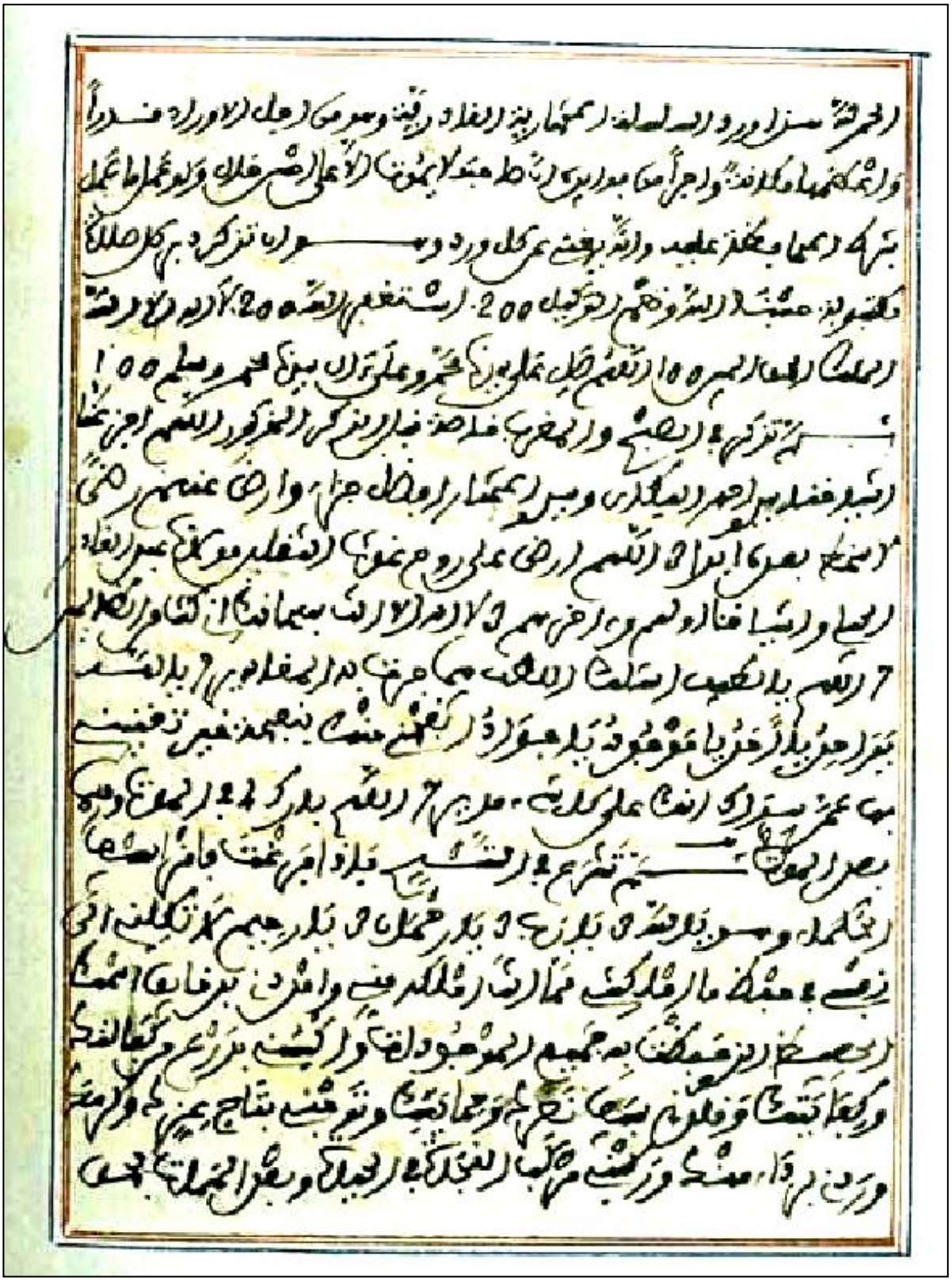

ص2

ص3

ص4

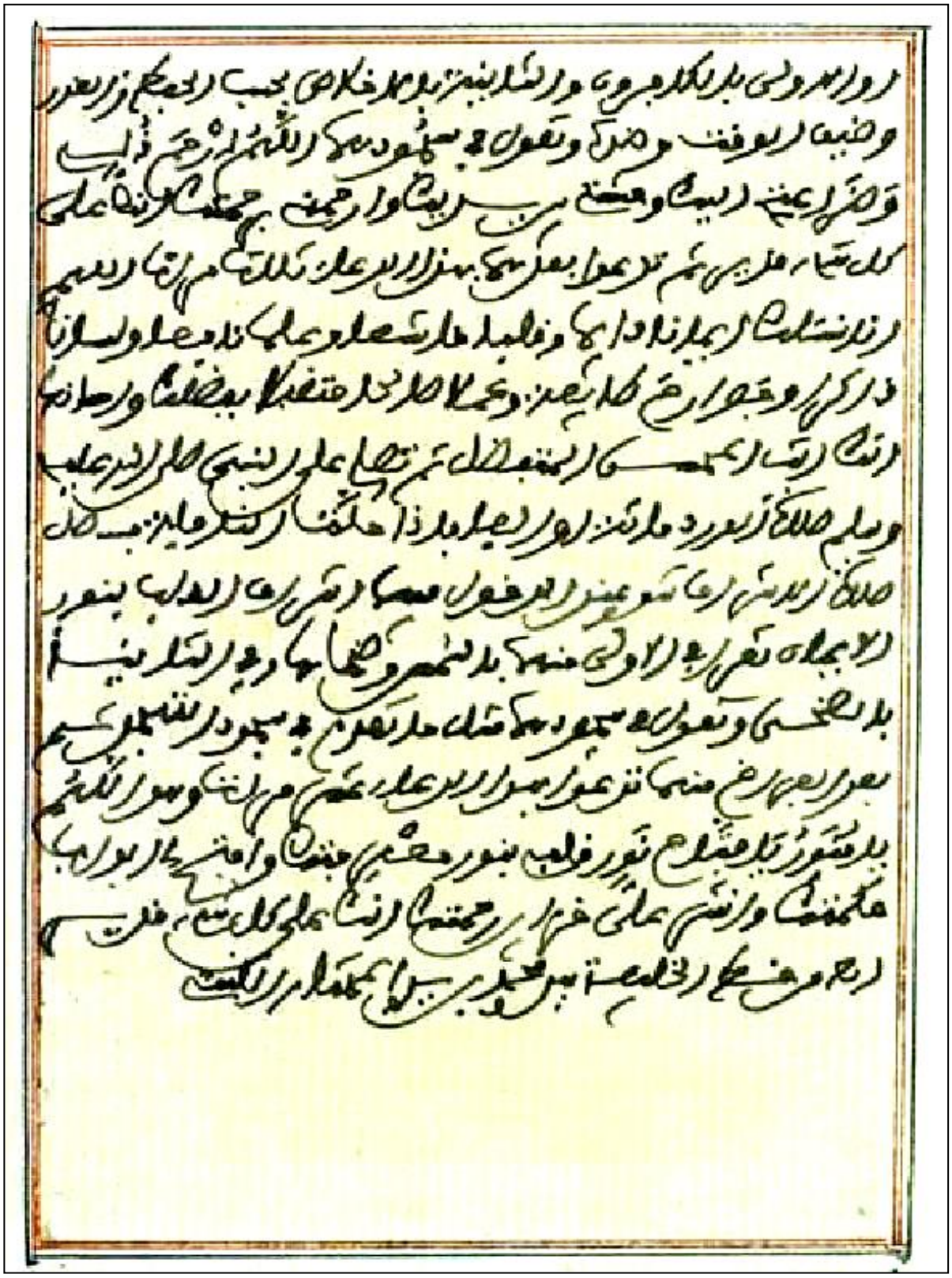

المصدر: وثيقة تحت يدي.

الملحق4: الوِرد التيجاني.

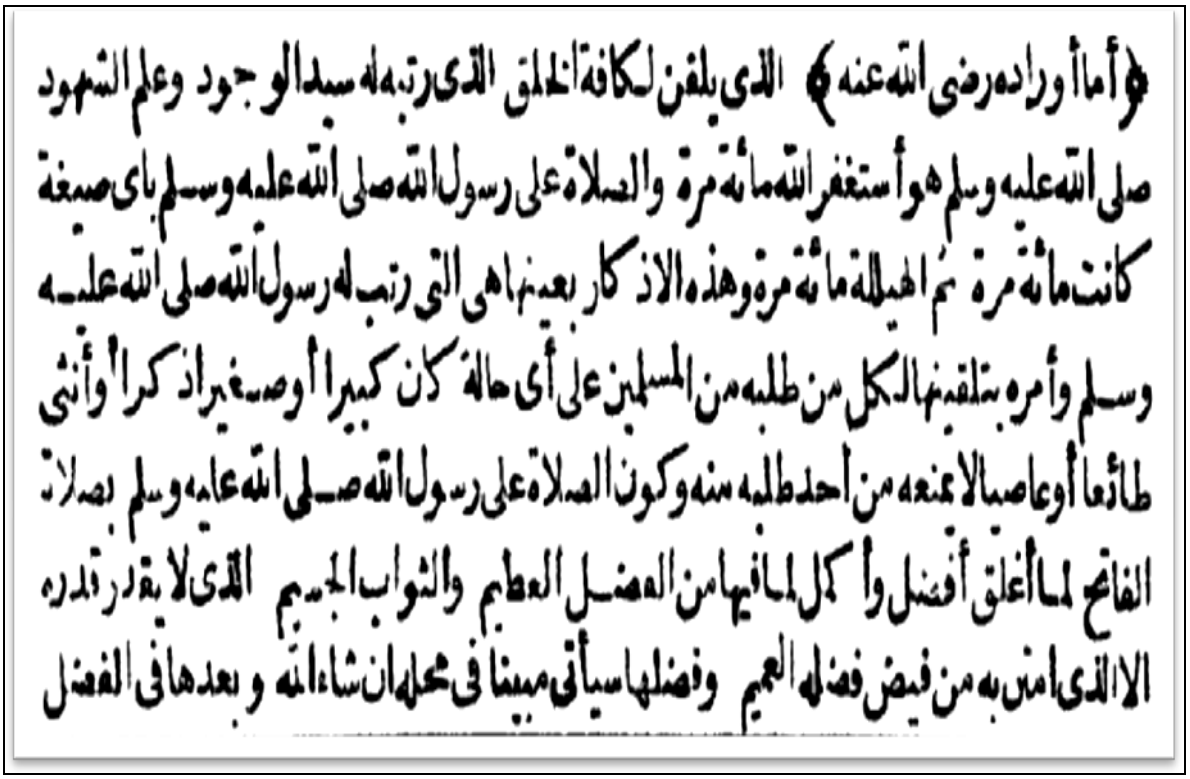

﴿أما أوراده رضي الله عنه﴾ الذي يلقن لكافة الخلق الذي رتبه له سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم هو أستغفر الله مائة مرة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي صيغة كانت مائة مرة ثم الهيللة مائة مرة وهذه الاذكار بعينها هي التي رتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بتلقينها لكل من طلبه من المسلمين على أي حالة كان كبيرا أو صغيرا ذكرا أو أنثى طائعا أو عاصيا لا يمنعه من أحد طلبه منه وكون الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق أفضل وأكمل لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم الذي لا يقدر قدره الا الذي أمن به من فيض فضله العميم وفضلها سيأتي مبينا في محله ان شاء الله وبعدها في الفضل

المصدر: علي حرازم ابن العربي برادة، المرجع السابق، ص85.

الملحق5: أهم مناطق انتشار التجانية في غرب إفريقيا

البلد	العددالإجمالي للسكان	نسبة المسلمين	نسبة التجانيين
موريتانيا	03 ملايين	% 100	%60
السنغال	06 ملايين	% 95	%90
غينيا(كوناكري)	05 ملايين	%97	%80
ساحل العاج	06 ملايين	%57	% 70
نيجيريا	100 مليون	% 65	%65
النيجر	05 ملايين	%90	% 80
مالي	07 ملايين	% 92	%80

و بذلك يظهر أن التجانية تفوقت على الطرق الصوفية الأخرى بحصولها على أكبر عدد من الأتباع لسهولة أذكارها من جهة ، و ارتباطها بمعارضة الاستعمار من جهة أخرى مما جعلها محل اعتزاز من شعوب إفريقيا الغربية و ساعد على التفاف الكثير من الأتباع حول شيوخها.

المرجع: شيخ لعرج، المرجع السابق. ص28

الملحق6:

ص1

وثيقة أهل السودان للشيخ عثمان بن فودى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليماً. الحمد لله الذى أنعم علينا بنعمه الإيمان والاسلام وهدانا بسيدنا ومولانا محمد عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأذكى السلام.

أما بعد فهذه وثيقة من ابن فودى أمير المؤمنين عثمان الى جميع أهل السودان والى من شاء الله من الإخوان فى البلدان وهى وثيقة نافعة فى هذه الأزمان. فأقول وبالله التوفيق.

فاعلموا يا أخوانى أن الأمربالمعروف واجب إجماعاً وأن النهى عن المنكر واجب إجماعاً وأن الهجرة من بلاد الكفار واجبة إجماعاً، وأن موالاة المؤمنين واجبه إجماعاً وأن طاعته وجميع نوابه واجبه إجماعاً، وأن الجهاد واجب إجماعاً، وأن تأمير الأمراء فى البلدان واجب إجماعاً وأن تأمير القضاء واجب إجماعاً وأن تنفيذهم أحكام الشرع واجب إجماعاً وأن حكم البلد حكم سلطانه إجماعاً، وإن كان مسلما كان البلد بلد اسلام، وان كان كافرا كان البلد بلد كفر وجبت الهجرة منه، وأن قتال الملك الكفار الذى لايقول لا اله إلا الله أصلا واجب إجماعاً، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعاً، وأن قتال الملك الكافر الذى لايقول لا إله لا الله بسبب عرف البلد ولم يكن يدع الاسلام واجب إجماعاً وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعاً وأن قتال الملك المرتد الذى خرج عن دين الاسلام الى دين الكفر واجب إجماعا وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعاً، وأن قتل الملك المرتد الذى لم

ص2

يخرج عن دين الإسلام لكونه يدعي الاسلام ويخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر كملوك حوس غالباً واجب إجماعاً وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعاً وأن قتال المسلمين الذين لم يكونوا تحت بيعه أمير من أمراء المؤمنين واجب إجماعاً اذا دعوا الى البيعة وأبوا حتى يدخلوا فى البيعة، وأن تكفير المسملين ببدع الأعمال حرام إجماعاً، وأن تكفير المسلمين بالمعاصى حرام إجماعاً، وأن المقام فى بلاد الحرب حرام اجماعا وأن عدم الدخول تحت بيعه أمير المؤمنين ونوابه حرام إجماعاً، وأن قتال المسلمين الذين كانوا فى بلاد الإسلام حرام إجماعاً، وأن أكل أموالهم بالظلم حرام إجماعاً وأن استرقاق الاحرار من المسلمين حرام إجماعاً، سواء كانوا فى بلادالاسلام أو فى بلاد الحرب، وأن قتال الكفار على الامانه حرام إجماعاً، وأن أكل أموالهم بالظلم حرام إجماعاً، وأن استرقاقهم حرام اجماعا وأن قتال جماعة المرتدين واجب اجماعا وأن أموالهم فيء وأن فى استرقاقهم قوامين المشهود المنع ولايعمر من فعله أن قتل من يقول بجوازه. وأن قتال المحاربين واجب إجماعاً، وأن أموال الغيىء وان استرقاقهم حرام إجماعاً، وأن قتال البغاه واجب إجماعاً، وأن أكل أموالهم بالظلم حرام إجماعاً، وأن استرقاقهم حرام إجماعاً، ويستعان بسلاحهم عليهم ثم يرد لهم وأن فى أموال المسلمين المقيمن ببلاد الحرب فهناك رأيان الصحيح منهما أنه يجوز الإستيلاء عليها.

وهنا انتهت وثيقة أهل السودان ومن شاء الله من الخوان بحمد الملك المنار مصليا ومسلما على المصطفى من نسل عدنان وعلى اله واصحابه وجميع أهل الإيمان.

المرجع: شوقي الجمل: الوثائق التاريخية، المرجع السابق، ص ص186 ،187

الملحق7: خريطة إمبراطورية الفولان التي أسسها الحاج عثمان

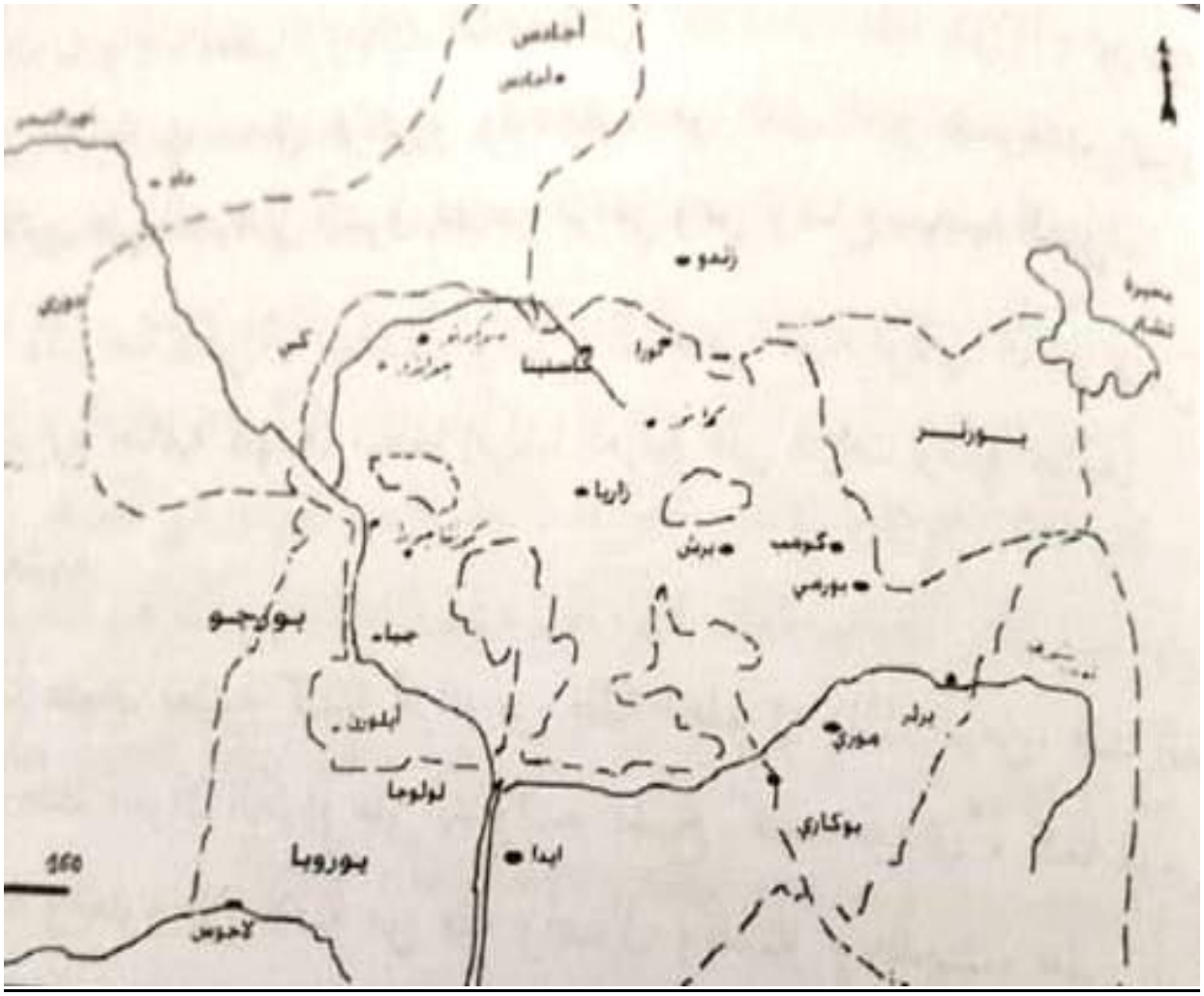

المرجع: أحمد بوعروس، المرجع السابق، ص131.

الملحق8: إمبراطورية الحاج عمر التجاني

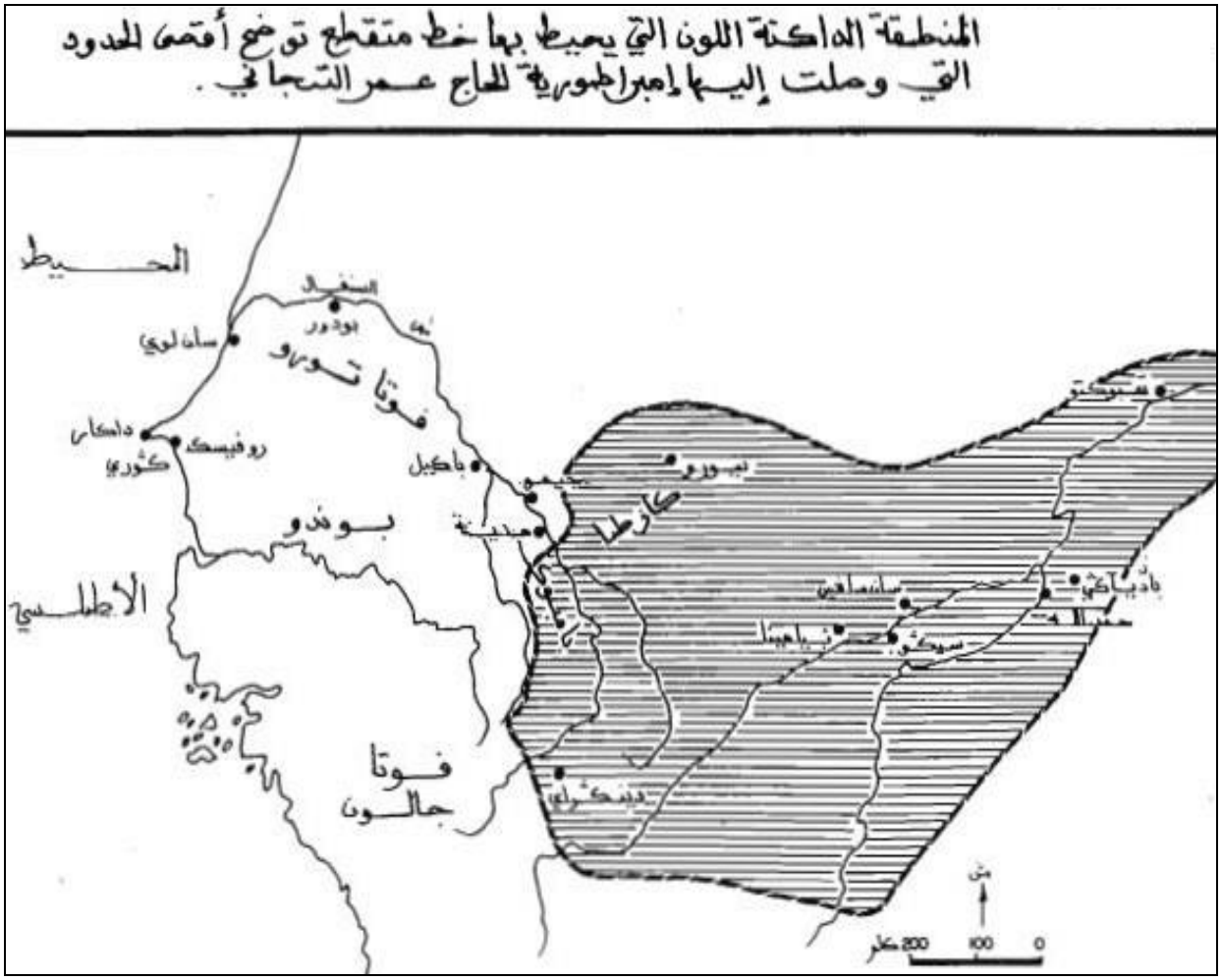

المرجع: أحمد الأزمي، المرجع السابق، ص665.

الملحق9:

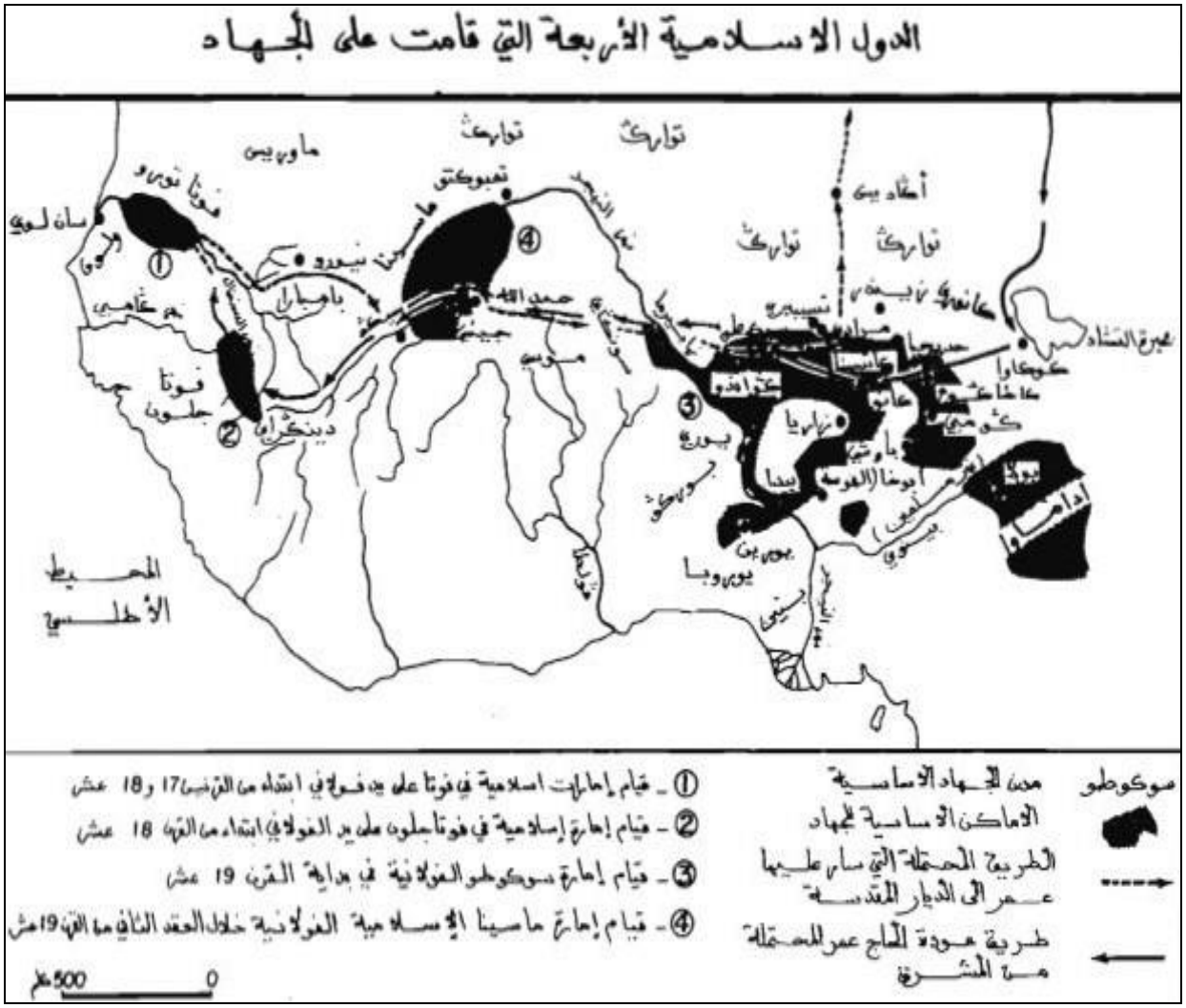

المرجع: أحمد الأزمي، المرجع السابق، ص665.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر:

1- القرآن الكريم، برواية ورش.

2- برادة علي حرازم، جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني،ج1، مصر، ط1، 1318هـ

3- البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد الكتاني، بيروت: دار الغرب، ط1، 1981.

4- ابن بطوطة،ج2، المطبعة الخيرية، ط1، 1322هـ

5- البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من المسالك والممالك)، القاهرة: دار الكتاب الاسلامي.(د.ط، د.س)

6- بلو محمد بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور، تح: علي عبدالعظيم وآخرون، القاهرة: وزارة الأوقاف، 1383هـ/1964م.

7- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد لخضر، ج2، بيروت لبنان: دار الغرب الاسلامي، ط2، 1983.

8- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ج2، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق: دار البلخي، ط1، 2004.

9- فودي عبد الله بن محمد، ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل، تح: د.أحمد محمد الكاني، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط:1.

10- القلقشندي أبو العباس، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1333هـ/1915.

11- محمد المنصور إبراهيم، تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب للعلامة مجدد الإسلام الشيخ عثمان بن محمد بن فودي، سكتو، نيجيريا: مركز الصحابة، جنب السوق القديمة، ط1، 1433هـ/2012م

12- المسعودي علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تح، محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت لبنات: المكتبة العصرية، 1988م.

قائمة المراجع:

1- الألوري آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، القاهرة: دار الكتاب المصري، 2014.

2- أمطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، بنغازي: دار الكتب الوطنية، ط1، 2005.

3- الأزمي أحمد، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1421هـ/2000م.

4- برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في غ. إ، القاهرة: دار الأمين ن ت، ط01، 2000.

5- بوعتروس أحمد، الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء (13هـ/19م)، الجزائر: دار الهدى، 2009.

6- بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن16 إلى مطلع القرن20، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2008.

7- بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الموريتاني للمنطقة، تر: محمد محمود ودادي، بنغازي ليبيا: دار الكتب الوطنية، ط1، 2001.

8- بوهان أدو: اتجاهات وعمليات جديدة في أفريقيا في القرن 19م، ف 3، تاريخ أفريقيا العام، مج6، اليونسكو، 1996، حسيب درغام وأولاده، لبنان.

9- التليني العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب بمنوبة جامعة تونس، 1992.

10- حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، (د.ط) 1957

11- الحمدي أحمد، الريادة العلمية والمشيخة الصوفية بأزواد، المغرب: دار قوافل، موريتانيا، ط.بريس، ط1، 2017.

12- حوتية محمد الصالح، توات والأزواد خلال القرنين "12 و13هـ/ 18 و19م"، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2007م.

13- الدالي الهادي مبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999.

14- رجب محمد عبد الحليم، تاريخ المسلمين في غرب إفريقيا جنوب الصحراء، القاهرة: شركة سفير، 1996.

15- رونالدو أوليقر، أنتوني أتمور: أفريقيا منذ عام 1800، تر: فريد جورج بوري، مر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

16- زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية ج الصحراء، الجزائر: المركز الوطني للكتاب، 1989.

17- ــــــــــــــــ، دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية.

18- الزيادي محمد فتح الله، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط01، 1983.

19- ولد السالم حماه الله: تاريخ بلاد شنكيطي "موريتانيا"، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2010.

20- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954م، ج4، بيروت: دار المغرب الاسلامي، 1998م.

21- أبوسليم محمد إبراهيم، بحوث في تاريخ السودان (الأراضي، العلماء، الخلافة، البربر)، بيروت: دار الجيل ط:1، 1412 ـ1992م

22- ولد سيد احمد يحي، ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية والقصائد النيرات، الج1، الجزائر: دار المعارف، 2009.

23- شترة خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج1، الجزائر: دار ابن طفيل، 2012.

24- شلبي أحمد موسوعة التاريخ الإسلامي، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية، ج6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط5، 1990.

25- طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية غانة الإسلامية، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

26- ظاهر جاسم، إفريقيا ما وراء الصحراء، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،(د.س).

27- ظهير إحسان إلهي، التصوف المنشأ والمصادر، باكستان لاهور، إدارة ترجمان السنة، قومي بريس، ط1، 1986.

28- عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، أضواء على الطرق الصوفية، السنغال: مكتبة مدبولي، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، ط 1989.

29- ـــــــــــــــــــــــــ، شوقي الجمل، الوثائق التاريخية دراسة تحليلية، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط2001.

30- ـــــــــــــــــــــــــ، شوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، (د.ن) 1998.

31- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د س).

32- العقاد أنور عبد الغني، الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ الرياض، 1983.

33- علي باري محمد فاضل، سعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا-تاريخ وحضارة، بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988.

34- فليجة أحمد نجم الدين: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2002.

35- فيج.جي.دي: تاريخ غرب أفريقيا، تر: السيد يوسف ناصر، القاهرة: دار المعارف، 1982.

36- مفتاح عبد الباقي، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوادي, الجزائر: الوليد للنشر.

37- مهدي رزق الله أحمد، التجارة والإسلام والتعليم الاسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1998.

38- النحوي الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987.

39- الهمشري محمد علي، وآخرون، انتشار الإسلام في إفريقيا، الرياض: دار أراكان، ط1، 1997م

40- هني إلهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850ـ 1914)، الرياض: دار المريخ للنشر، ط1408هـ/1988م.

الرسائل الجامعية:

1- بوبكي سكينة، الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن 19م، مذكرة ماجستير، إشراف: د. عبد المجيد بن نعيمة، جامعة وهران، 2010/2009.

2- سالمي مختار، رسالة بلوغ الأماني في مناقب أحمد التجاني لأحمد أديب المكي (تحقيق مخطوط)، مذكرة ماجستير، إشراف: د. شعيب مقنونيف، جامعة تلمسان، 2013/2012.

3- سليمان علي بدوي، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1903-1960م، رسالة ماجيستر إشراف: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، جامعة القاهرة، 2003.

4- شيخ لعرج، موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا، رسالة دكتوراه، إشراف:د.فغرور دحو، جامعة احمد بن بلة، وهران، 2016-2017.

5- قحام عمار، الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية بين ق"15-19م" ، مذكرة ماستر، إشراف: خالدي مسعود، جامعة قالمة، 2016-2017.

6- مسعودي زهرة ، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا بين القرنين 18- 20م، رسالة ماجستير، إشراف: د. عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2010/2009.

7- مقاديم عبد الحميد، المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي، رسالة دكتوراه، إشراف: د. عبد المجيد بن نعمية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018.

8- مولاي محمد، القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي خلال القرنين15م- 18م، رسالة دكتوراه، إشراف د. أحمد الحمدي، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2018-2019.

المجلات والمقالات:

1- التليسي بشير رمضان،"دور الطرق الصوفية في مقاومة الاستعمار الفرنسي في غرب أفريقيا خلال القرن 18هـ/19م"، مجلة الجامعة الأسمرية، ليبيا: دار المنظومة، السنة3، ع6، 2006.

2- بوصفصاف عبد الكريم، "التصوف مفاهيمه وأبعاده"، التصوُّف في الإسلام والتحديَّات المعاصرة، جامعة أحمد دراية أدرار، م.د11 ، نوفمبر2008.

3- حسين أحمد إلياس، "دور الصوفية في المجتمعات الأفريقية جنوب الصحراء (9-13هـ/ 15-19م)"، مجلة الجامعة الأسمرية، دار المنظومة، ليبيا، ع6، السنة4.

4- حندوقة إبراهيم فرج، "الإسلام في بلاد تكرور في غرب أفريقيا خلال القرن 19"، المؤتمر الدولي الإسلام في أفريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، ليبيا، 26-2006/11/27.

5- بن خويا إدريس: واقع الطرق الصوفية بإقليم توات، التصوُّف في الإسلام والتحديَّات المعاصرة، جامعة أحمد دراية أدرار، م.د11 ، نوفمبر2008.

6- السر سيد أحمد العراقي، "بلاد غربي إفريقيا الإسلامية عبر التاريخ"، مجلة جامعة إفريقيا العالمية، ع14، ليبيا، 2006.

7- طوابة نور الدين، "دور الطرق الصوفية في الدعوة، الشيخ عبد القادر الجيلاني نموذجاً"، التصوُّف في الإسلام والتحديَّات المعاصرة، جامعة أحمد دراية أدرار، م.د11 ، نوفمبر2008.

8- عفين محمد علي، "الطريقة التيجانية ودورها الديني والثقافي في إفريقيا جنوب الصحراء في النصف الأول من القرن19م"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل قسم التاريخ المج15، ع01، س2018.

9- غانمي عمرو سعيد، "الطريقة التجانية ودورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا"، مجلة جامعة إفريقيا العالمية, وزارة الإرشاد والأوقاف الليبية 2006.

10- ولد محمد أجه، "دور القادرية الكنتية في التبادل الثقافي بين بلاد شنقيط وبلاد المغرب خلال القرنين 18ـ19م"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشط، موريتانيا.

11- نعايم محمد والسعدية أوتبغزيت، "الشيخ المختار الكنتي- حياته وتصوفه"، مجلة دعوة الحق، المغرب وزارة الأوقاف، ع415، فبراير2016م.

12- الهادي هارون، "التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 2، 2017.

13- ودادي صبحي، "الطرق الصوفية في غرب إفريقيا والإسلام السياسي. تعاون أم تنافس؟"، مركز الجزيرة للدراسات، 14 مارس2019.

المواقع الالكترونية:

1- https: //www.ar.m.wikipedia.org، تاريخ الاطلاع: 2019/04/06، سا00:30.

2- https: //www.Fm6oa.org، تاريخ الاطلاع: 2020/05/22، سا01:24.

3- https: //www.wilaya-elbayadh.go ، تاريخ الاطلاع: 06/04/2019، سا01:00.

الفهرس

- **المقدمة** :.....	ص02
– لفصل الأول: السودان الغربي والطرق الصوفية	ص08
- 1. **الـمبحث الأول**: السودان الغربي مجاله الجغرافي وخلفيته التاريخية	ص09
- 1.1- تعريف السودان الغربي وتحديد مجاله الجغرافي	ص10
- 2.1- الخلفية التاريخية وانتشار الإسلام في السودان الغربي	ص13
- 1.2.أ- الممالك الإسلامية في السودان الغربي	ص14
- 2.2.ب- انتشار الإسلام في السودان الغربي	ص17
- 2. **المبحث الثاني**: الطرق الصوفية في السودان الغربي	ص21
- 1.2- الطريقة القادرية، النشأة والانتشار	ص23
- 1.2.أ. نشأة الطريقة القادرية..... .	ص23
- 1.2ب. الأوراد القادرية	ص24
- 1.2جـ. انتشارها في غرب إفريقيا	ص24
- 2.2- الطريقة التجانية، النشأة والانتشار.....	ص29
- 2.2-أ.التعريف بالطريقة ومؤسسها	ص29
- 2.2-ب. نشأت التجانية وأورادهـا	ص30
- 2.2-جـ. انتشار الطريقة التجانية في غرب إفريقيا	ص32
- **الفصل الثاني: المواقف الجهادية للطريقتين في السودان الغربي**	ص36

- 1. **المبحث الأول**: الدور الجهادي للطريقتين	ص36
- 1.1 . الحركات الجهادية القادرية	ص35
- 1.1.أ . حركة الشيخ عثمان بن فودي	ص36
- 1.1.ب . حركة أحمدو لوبو الماسيني	ص42
- 1.1.جـ . القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا	ص44
- 1. 2. التيجانية والجهاد	ص49
- 1 .2. أ . حركة الحاج عمر الفوتي الجهادية	ص49
- 1 .2.ب . جهاد التيجانية بعد الحركة العمرية	ص51
- 2. المبحث الثاني: الخلاف والتوافق بين الطريقتين	**ص53**
- 2 .1 الخلاف الفكري والعسكري بين القادريين والتجانيين	ص54
- 2 .1.أ . الخلاف الفكري	ص54
- 2 .1.ب . الخلاف العسكري	ص57
- 2 .2 . أوجه التوافق بين الطريقتين	ص59
- **الخاتمة**	ص63
- **الملاحق**	ص66
- **البيبليوغرافيا**	ص80
- **الفهرس**.....	ص88

المُلخص

يتناول هذا البحث مسألة الجهاد الصوفي في السودان الغربي، حيث قاد حركة الإصلاح الديني في البداية زعماء الطريقة القادرية، كونها أقدم طريقة صوفية وصلت منطقة غرب أفريقيا، وقد اتسمت جهودهم بالشمولية واللّين والتكيّف مع البيئة الاجتماعية، والتركيز على الجانب الدعوي بداية، ولمّا اشتد عودهم وكثر عددهم، انتقلوا إلى الجهاد المسلح مستهدفين الإمارات الوثنية، ثم أصبحت لهم طموحات سياسية، تجلت في قيام إمارات إسلامية أسسها شيوخهم مثل إمارة سوكوتو التي أنشأها الشيخ عثمان بن فودي سنة 1803م، واستمرت بعده قرناً من الزمن حتى سقطت تحت الاحتلال الإنجليزي سنة 1904م. كما أسس تلميذه ومريده "أحمدو لوبو" إمارة في ماسينا بمالي (1815_1862).

رغم جهود القادريين الإصلاحية إلا أنّ أسلوبهم القائم على التعايش مع الغير، شجع الإمارات الوثنية على الاستمرار، بل و ربط علاقات تعاون سياسية مع إمارة ماسينا. هذا الوضع أدى إلى تبني وانتشار طريقة صوفية جديدة ظهرت حديثاً في الجزائر هي الطريقة التيجانية.

التيجانيون في منطقة السودان قدّموا أنفسهم على أنهم يحملون فكراً إصلاحياً جديداً، لذلك عمد زعيمهم الأول الحاج عمر إلى نشر أفكاره بين فئة الشباب في إقليم فوتاتور بالسنغال، ولمّا استقوى بدأ بالتوسع على حساب القبائل الوثنية.

الاحتكاك القادري التيجاني بدأ فكرياً من خلال تبادل المراسلات، التي حاول كل طرف من خلالها إبراز مميزات وفضائل طريقته، وذم وكشف عيوب طريقة منافسه. فمبادئ التيجانية تتلخص في ضرورة استخدام القوة والسيف في محاربة الوثنيين، والنفوذ الأوربي في المنطقة،كما تميزت بتزمتها الشديد ومناهضتها للطرق الصوفية الأخرى، خاصة القادرية التي أصبحت تلين تجاه الإمارات الوثنية، كما أنّ بعض أقطابها رأوا أن الاحتلال الأوربي للمنطقة قضاء وقدر يجب التعايش معه، وهذا ما دفع بالحاج عمر التيجاني للدخول في حرب خاسرة ضد إمارة "ماسينا" القادرية انتهت باستشهاده سنة 1864م.

إنّ ما يجمع الطريقتان أكثر من ما يفرقهما، فكلاهما خدم الإسلام في المنطقة، من خلال نشر العلم، والحد من انتشار الأمية والجهل، وتنظيم شؤون الحكم والقضاء وفق الشريعة الإسلامية ومحاربة الوثنية والاستعمار.

الكلمات المفتاحية: التصوف، الطرق الصوفية، القادرية، التجانية، الجهاد، الإصلاح، عثمان فودي، عمر الفوتي، الوثنية، الاستعمار.

Summary

This paper deals with the issue of the Sufi jihad in western Sudan, where the religious reform movement was initially led by the leaders of the Qadriya method, the oldest mystical method, reached the West African region. Their efforts were characterized by inclusiveness and softness, adapting to the social environment, and focusing on the advocacy side at the beginning. Political aspirations, manifested in the establishment of Islamic Emirates established by their elders, such as the Emirate of Sokoto, which was established by Sheikh Othman bin Fudi in 1803 AD, and continued for a century after him until it fell under the English occupation in1904 AD. He also founded his student and aspirant "AhmaduLupo" an emirate in Massena, Mali (1815-1862).

Despite the Qadrians' efforts to reform, their method of coexistence with others encouraged pagan Emirates to continue and even link political cooperation relations with the Emirate of Massena.

The Tidjans in the Sudan region presented themselves as carrying a new reformist ideology, so their first leader, Hajj Omar, spread his ideas among the youth in the Votator region of Senegal, and when he gained strength he began expanding at the expense of the pagan tribes.

The Qadir Al-Tijani friction began intellectually by exchanging correspondence, in which each party tried to highlight the advantages and virtues of its method, and defamed and exposed the faults of the method of its competitor. The principles of Tijaniyya are summarized in the necessity of using force and sword to fight the pagans and the European influence in the region, as it was characterized by its severe adherence and its opposition to other Sufi orders, especially the Qadriyah that has become softening towards the pagan Emirates, and some of its poles saw that the European occupation of the region is a destiny and a destiny that must be coexisted with, This is what prompted Hajj Omar Al-Tijani to enter into a war in which he has no victory against the Qadiriya emirate of Massena, which ended in his martyrdom in 1864.

What combines the two methods more than what separates them, as both of them served Islam in the region, by spreading knowledge, limiting the spread of illiteracy, and organizing governance and judiciary affairs in accordance with Islamic law.

Key word: Sufism, Sufi orders, Qadiriya, Tijaniya, Strive, Reformation, Otmanfudi, Omar-Foti, Idolatry, Colonization.